

مجمع اللغة العربية

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٧ م الموافق شوال سنة ١٣٤٥ هـ

شيء عن اناتول فرانس (١)

- سير العلم - القديم والحديث - الكلام عن اناتول فرانس - تراجم الكتاب -
- مذهب اناتول في الشك - النفاؤل - الحزب واسبابه - المسامحة - الحب -
- الاسلوب المدرسي - الاسلوب الوجداني - طراز اناتول في النقد - لغة لافورتين -
- ميل اناتول الى لغته - حرصنا على اللغة .

قال الاستاذ شارل ريشه احد اعضاء معهد باريز في كتابه (العالم) :

« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في عنوان امره ورمان عمره ، فالعالم (ارخيدس) على نبوغ فضله وبراعته كان يجمل ما يعلّمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، وأجهل تلميذ من تلاميذ المدارس التجريبية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم (غليله) نفسه ، ما بين العالم (فرانكلان) وبين العالم (انشتين) مائة وخمسون سنة ، فمتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ! ما أعظم انقلاب الأفكار ! لم يكن من قبل علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن وما هو قرن ونصف قرن . المشي غير وثيد ، اننا نسير الى معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متزايدة ، وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة . هما اختلفت اشكالها » .

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد شفيق جبيري احد اعضاء المجمع القاما في

رعدة المجمع يوم ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ م .

هذا ما قاله الاستاذ (ريشه) فلم يتجنب نهج الصواب في وجيز كلامه ، لقد ظهرت علوم في ايماننا لم تظهر من قبل ، فانبسطت آفاق العقول فتبدل بانساطها طراز التفكير وتغير نمط النقد ، وطفق الكتاب يتغلغلون في حقائق الامور ، فظهرت على كتاباتهم آثار هذا الانقلاب واختلفت اصولهم في التفكير عن الاصول التي كانوا يبنون عليها من الف سنة ، لقد تبدلت الارض غير الارض والسموات ، واستنحل العمران واصنفاضت مذاهب الحضارة فأصبح الجمود على القديم مثقلة للقرايح ، الا انه ما ككل قديم فاسد ولا كل حديث صالح ، واذا جازلنا ان نستعجن البكاء على الاطلال او وصف مراض الغنم ومعاطن الايل في عصر طارت فيه الطيارات ودبت فيه الدبابات ، او اذا جاز لنا ان نستشنع الكلام عن قبة من اديم او مظلة من شعر او خباء من صوف او بجاد من وبر او خيمة من شجر او قنة من حجر في دهر ذهبت فيه القصور في السماء فلا يجوز لنا ان نشذ عن لفة نسجت أفوافها الليالي وطرزت أبرادها الايام فوسمت ما سيفه السموات والارض .

لقد انقلبت العقول والافكار فنشأ النمط الحديث في الادب وليس في هذه الثورة الفكرية شيء يستكره اذا لم يكن معها ثورة ندمب بمحاسن اللغة والاسلوب فان الحياة تستلزم الحركة ولا ريب ، قال ابوالحسين احمد بن فارس بن زكريا المقيم :

« ومن ذا حطر على المتأخر مضادة المتقدم ، وله ناخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وندع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ، وهل الدينسا الا أزمان ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بمدالاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ، ونتاج العقول ، ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، وله لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ، وما نقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تحطر على بال من كان قبلهم ، او ما علمت ان لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ، وله حجرت واسما وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً وسددت طريقاً مسلوكاً ، ولواقصر الناس على كتب القدماء . انضاع علم كثير ولذهب أدب غزير ولضلت افهام ثاقبة ،

ولكأت السن لسنة ولما توشى احد لخطابه ، ولا سلك شعباً من شعوب البلاغة والمجرت
الأسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ .
ابو الحسين هذا حفظه الله من المجددين او المتجددين على ما يستنبط من كلامه ،
الا انه نشأ في عصر انتهت فيه اللغة الى ابعث غايات الحسن وبلغت أقصى نهايات الجودة
والظرف ، فكانوا اذا نزعوا عن اللغة برداً قشيباً خلعوا عليها برداً أفسب ، واذا
جزدوها من دهباجة طريفة ألبوها دهباجة أطرف ، وحسي ان أذكر من أئمة ذلك
العصر ابن العميد والحوارزمي والصائي والصاحب والبديع والثمالي وأمثالهم من الذين
حسنت بهم صناعة الانشاء ، وما بينهم وبين الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الا فيئة
من الدهر ، فكانت اللغة في حصن حصين وركن ركين فلم يكن في تجديدهم خوف
عليها ، وما انحطت اللغة عن طبقتها الا لما ذهبوا بين سمع الارض وبصرها . اما
المجددون في هذا العصر فقد بالغت طائفة منهم في الامر حتى أصبح تجديدهم تخالفاً
رئيشاً . فذهبوا الى اطراح كل قديم ومحدث ، وجاهلي ومخضرم ، واعرابي ومولد
فلم يستنج ذوقهم كلام الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد وأشباهم من اصراء اليان .
وزعموا ان أساليب المتقدمين لا تسع علوم هذا العصر ولا تستوعب طرائف الحضارة
وبدائعها فاذا بدلوها أنماط التفكير لزمهم ان يبدلوها أساليب الكلام ، وهذا موطن الغلر
في آرائهم . لئن ارتقى الفكر البشري في هذا العصر فان كلام العرب منخط عن طبقته
في الجاهلية والاسلام . فاذا لم يبلغ كلامنا اليوم مبالغ كلام المتقدمين فأبي عذر لنا
في الشذوذ عن أساليبهم ، وكيف نزع ان لغتنا اعلى من لغة القرآن والمنسجيين على
أذبال القرآن .

ترجم الدكتور ماردروس القرآن الى لغته الفرنسية بمدات استعد لهذا الامر
عشرين سنة وقد كتب عن هذه الترجمة الاستاذ باولوصكي مقالة في مجلة
(Les Annales) جاء في خاتمتها ما يلي :

« لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً أجمع معه المبشرون
على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم . واستنتج الدكتور
من ذلك ان الحكمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت سحرراً حللاً . »

فمن الذي يتبجح اليوم بان يأتي بكلام ينزل على أكتاف ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحري . فاللغة التي تخرج عليها طائفة المجددين هي لغة جمهور من الكتاب والخطباء والشعراء تدارسوا كلام القرآن حيناً من الدهر طويلاً حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من شعاب البلاغة . يزعم هذه الطائفة انها نذهب مذاهب الغربيين في كتابتها فكأنما خيل اليها ان أدباء الغرب لا يبالون بقدماء كتابهم وشعرائهم . هذا ان اتول فرانس بائعة دهره !

تحدثت اليه بلاغة المتقدمين فحل في الإنشاء المحل الارفع حتى اطبق أدباء وطنه وفيهم عدوه وصديقه على الاعتراف بان اتول حفظ اللغة في القرن العشرين ، فلم يتطرق اليها الفساد ، فلولا حرص اتول على اللغة القديمة وتعلقه باهدابها لم يكن له المنزلة الرفيعة في الأدب .

وما اللغة القديمة التي يحرص عليها اتول الا لغة المدرسين اي لغة القرن السابع عشر والقرن السابع عشر أطيّب عصور الأدب الفرنسي ، فقد بلغت فيه اللغة المبالغ وبينها وبين لغة كتابنا البغضاء امثال ابن المقفع شبه عظيم وان رجلاً حفظ لغة قومه لجدير بان نعرف سيرته ، ونقبل طريقته .

الكلام عن (اتول فرانس) بعيد الشقة ، مترامي الاطراف ، فلا يأمن الغائص على هذا الاؤلؤ المكنون ان يفرق في لجنة خضم ملتطم الأمواج . واني أخاف اذا حاولت ان افول عنه كل شيء ان لا اتول شيئاً . واني لأخشى اذا اردت ان اعرض على الجمهور كل طرائفه ان لا اعرض طرفه . فأثرت ان ألم بان اتول الملاماً دون الافاضة في مطولات اخباره وآرائه . ولو اردت ان أشبع القول في عبقرته لعمدت الى كتب ومجلات وصحف شتى توغل اصحابها في هذا الافق المبسط كل مترغل . بيد اني احببت ان أبرز آثاراً بقيت في نفسي ورسوماً رسمت في ذهني من مطالعة بعض كتب ألفها اتول فرانس . واني ارى ان الباحث عن ادب من الادباء اذا اجتمعت له عناصر البحث وتوفرت لديه مواد التنقيب لزمه ان يكون مستقلاً في حكمه ، حتى يكون هذا الحكم صادقاً ، ولكنه اذا نقل ما قاله الناس دون اعمال فكره كانت الصورة التي يعرضها مزورة مرقشة .

ولد اناتول فرانس في باريس سنة ١٨٤٤ فكان لمشاهد جواد باريز الجميلة تأثير كبير في ذهنه فقد كانت هذه الجواد يومئذ هادئة مخضبة فكان اناتول يسرح الطرف في قصر (الوفور) ويصوب النظر وبعده في قصر (مازاران) فملأت هذه المباني عينه ، وغمرت قلبه فتمتع خلقه برويقها وخرج فريحته برقتها ، ولم يصدق انها من آثار البشر . فكان الشك يخالج في صدره ، وقد بعثه تأمله هذا على الشغف بالفنون والحزن الى الماضي وكان ابوه كتبياً فأيقظت فيه هذه الحرفة راما بالادب القديم وبالكتابة .

* * *

من محاسن ادب الافرنجة انك اذا تفرغت للكلام عن ادب من أدبائهم او شاعر من شعرائهم او خطيب من خطبائهم الى غير هذه الطبقات من الناس الذين يقبلون العالم بنسخ طبائعهم وسبك افهامهم وصوغ اذهانهم وجدت في بعض الاحابن مجال القول ذا سعة ، فانك لا تشاء ان تعرف شيئاً عن اخلاق هذه الطبقات وآرائهم وعاداتهم وثقافتهم واوضاعهم ونشأتهم ومخائيلهم وهياتهم الا عرفته . وقد بالغوا في ذلك فوصفوا في كتبهم كيف ولدوا وكيف عاشوا وكيف رباهم اهلهم . ووصفوا اخلاق آباءهم وأمهاتهم فيقيمون كل شاردة ويدرنون كل نادرة وقد يتولى ادباؤهم وصف حياتهم باقتلامهم ، والمرء اعرف ببواطنه وكوامنه من غيره ، وهذا النمط قليل في ادب العرب . من هؤلاء الكتاب الذين وصفوا في كتبهم بدأة حياتهم وميعة شبابهم اناتول فرانس فهو يرى ان الفنان الكتاب لهذا الطراز اشد من انقائهم لغيره فانهم يجدون لذة في هذا الوصف فيحملون القراء على مشاركتهم في اللذة فلما ينزل الوحي على كاتب مثل ما ينزل عليه وهو يكتب عن خواجه ولواعجه ، فأجمل كتب روسو « اعترافاته » واجمل كتب شاتوبريان « مذكرات ما وراء القبر » .

الف اناتول فرانس اربعة كتب رائعة تصرفت به الكلام في تصوير حياته كل متصرف ، واناتول فرانس كلف بالاستطراد في كتاباته فهو يخرج من الجد الى الهزل ، ومن الحزن الى السهل نقياً للكلل وبعداً من الملل فكثيراً ما يجب ان يلهو في سبيله ، فاذا مضى لطيبته ولم يلو على شيء وصل الى غرضه في طرفه عين وهذا

ما لا يريد ، فانه يرى اللذة في الجيئة والذهب لان النقل في الكلام مدرجة الى الله وهذا هو طراز الجاحظ في الكتابة والتأليف .
 كان والد اناتول يرى في اول نشأة ولده ان عقل كلبه ينمو اكثر من عقل ابنه ، فلم يقع في خلده انه يأتي يوم يصبح فيه اناتول مفرداً علماً يملأ الدنيا ويشغل الناس .
 وقد كان بين اناتول وابيه اثنان في المنطق والدقيق فكان والد اناتول يؤمن بالله بخلاف عن هذا العالم ، وروح تختلف عن هذا الجسم ، اما اناتول فانه لم يمتع بما وراء الطبيعة ولم يصدق كل ما يقال له . وقد شرع وهو طفل صغير في تعلم الكتابة فحاول ان يكتب في اللاهوت والأخلاق فاشتمت كتابته بهذا الكلام « ما هو الله » وعرض البراءة على أمه فأوعزت اليه في وضع علامة الاستفهام بعد كلمة « الله » إشارة الى انه يسأل عن امر يجمله ، فاستمعى وقال : اني اعرف الله ولا استفهم وطال الجدل بينهما وامتنع عن وضع العلامة .

قال اناتول : وقد تغير طبعي من ذاك الحين فاني لا امتنع عن وضع علامة الاستفهام في كل مقام مناسب وقد تعرض لوضع هذه العلامة في كل ما اكتب واقول وفي كل ما أفكر فيه . ولو تراخى اجل أمي لقالت لي « لقد جاوزت الحد يا اناتول » وفي هذا الكلام إشارة الى ان اناتول يشك في كل شيء في العالم . فان فلسفته الشك ، ووضع علامة الاستفهام بعد الكلمة الماع الى الشك ، على انه يقول مها كان شكنا الفلسفي فانا مضطرون الى ان نعمل في الحياة كأننا لم نشك في شيء . فلم يكن مذهب اناتول الشك المطلق فهو يخشى هاتين الكلمتين الجافتين « انا اشك » لان المرء اذا كان شك في الامور وجب عليه ان يسكت فالكلام اثبات واناتول لم يجرأ على السكوت والاعتزال فقد شاء ان يؤمن بآمن الا انه آمن بان الامور نسبية في هذه الدنيا .

كان اناتول يرى ان ايمان ابه بالله هو الذي جعله منفثلاً بالحياة ، الا ان هذا الوالد كان مع انماؤه سو يداوياً قليل الضمك قليل الميل الى الجزأة ، اما اناتول فقسد اخذ عن ابه مذهب التفاؤل الا انه كان فرحاً في حياته على خلاف ابه ، فقد نظر الى الحياة من وجهها الصحيح فلم تغلب عليه السوء بداء التي غلبت على ابه ، ولا مثلت له

الأوهام أموراً لا حقيقة لها ، فليس في الدنيا على ما يقول حياة حسنة ولا حياة سيئة ، لا شيءٌ شريف أو معيب في ذاته ولا شيءٌ عادل أو غير عادل ، لذيد أو أليم ، صالح أو فاسد . وإنما الرجل هو الذي يجمل صفات للأشياء كما يجمل الملح طعاماً للآكل . هذا هو رأي اناطول في الحياة وهو يقول من عاش طمحت نفسه فطلب المطالب وبقدر ما يحسب المرء ان مطلبه حلوا او مرت تكون الحياة في نظره حسنة او سيئة . بألم الرجال لانهم ليس في ايديهم ما يظنون انه خير او اذا صار اليهم هذا الخير خانوا ضياعه ، وبألمون ايضاً لانهم يكابدون ما يظنون انه شر من الشرور فاذا بطلت هذه المعتقدات ذهبت آلامهم ، والناس سواء في عجزهم عن عمل الخير والشر فان الخير والشر لا اثرهما الا في الرأي . والعافل من الناس يرى العادة والمصطلح اعمل كل شيء . هذا هو معنى كلامه « الامور نسبية في هذه الدنيا » . وقد ذفد ابوالطيب المنبجي هذه الفلسفة في بيت فقال :

راعتك رائحة البياض بفرقي ولو انهما الاولى لراع الاسم

البشر في نظر اناطول هم الذين يستجلبون العذاب الى قلوبهم ويدخلون الآلام على نفوسهم فاسمع ما قاله في الحزن وكيف علة .

« أشد ما يكون حذقنا باستجلاب العذاب الى قلوبنا ، وأعظم ما تكون مهارتنا في جر الألم الى نفوسنا ، لقد ضا فمنا آلامنا وتم انقصها تازينا اللذة لحواسنا . لقد ظيرت منذ بدء الخليقة ونشوء العالم امرأة مقلعة اسمها «السو بداء» ولكن فلنعدل دون شيء من الاشتطاط فقد أضفنا ولا ريب بعض الشيء الى احزان النفس ولكل منسا نصيب في إنشاء هذه الآلام ، آلام الروح .

العلم لا ينشي شيئاً من السعادة ، فقد قطفنا ثمر شجرة العلم واكلناه ، ولم يبق منه في الأفواه الا طعم الرماد . لقد مشينا في مناكب الارض وخالطنا أمتا شتى منها السود والحمر والصفرة ، وبان لنا اختلاف البشرية ، ورأينا ان هذا الاختلاف اعظم مما كنا نتصوره ، ووجدنا انفسنا أمام اخوات اجانب لا تشابه ارواحهم ارواحنا الا بقدر ما تشابهها ارواح الحيوانات ، ثم جلنا في الفكر كل مجال فقلنا ما هذه البشرية التي نغير سماتها وارواحها وألحيتها بتغير مبادئها ، كنا لا نعرف من الارض الا حقولها التي كانت تخرج لنا الخبثات وكانت هذه الارض كهيئة في اعيننا فلما عرفنا مقامها

في العالم تصور لنا صفرها ، فقد علمنا انها ما كانت الا قطرة طين ، فوضع هذا العلم منا ، وكنا محمولين على الظن بان اشكال الحياة والعقل كانت اعظم مما تمثل لنا ، وان في الكواكب والعوالم بمجامعها مخلوقات تفكر ، ففهمنا بعد ذلك ان عقلنا صغير ، ان الحياة في ذاتها لا هي طويلة ولا هي قصيرة ، والأغرار الذين يقيسونها بالنسبة الى مدتها الوسطى يقولون والحق يقولون ان المرء اذا مات بعد ان يخطه الشيب فقد قضى لبائنه من الحياة ، اما نحن فماذا صنعنا ؟ فقد شئنا ان نحزر عمر الارض القديم وعمر الشمس وها نحن الآن تقيس حياة البشر على ادوار طبقات الارض وعلى اعمار العوالم فرأينا بعد هذا القياس ان الحياة قصيرة ، غرقنا في بحر الزمن والمسافة فتبين لنا اننا لم نك شيئاً فنقل علينا هذا الامر ولم نشأ ان نقول شيئاً بسبب كبريائنا فخجلنا واصفرت وجوهنا والخطب الجلل ان ايماننا ذهب بذهاب الدنيا الحسنة ذهب رجاؤنا واضمحلت املنا فلم نؤمن اليوم بالذي كان عزاء لآبائنا وهذا شديد علينا ، فقد كان الايمان بجهنم زينة يطيب ويعذب .

وما زاد في بؤسنا ان تكاليف الحياة المادية اصحبت اثقل من قبل ، فان الجماعات الحديثة قد جورت ضرور الأمانى فاستثارت بذلك كل مجهود ، واصبح التمزاح على الحياة والنزاع فيها اشد من كل دهر وصار الظافرون احمق ، والمنكسرون اعظم انكساراً ، لقد اضمنا حب الخير بضياح الايمان والرجاء وكانت هذه الفضائل الثلاث تحمل الأرواح البائسة على ظهر هذا البحر ، بحر العالم ، فمن الذي يأتينا اليوم بالايمان والرجاء وحب الخير ! » .

كان انا نول سعيداً في حداثة سنه ولكنه يقول : السعداء لا يعرفون اموراً كثيرة عن الحياة فالألم هو مهذب الرجال الأكبر والألم هو الذي علمهم الفنون والشعر والأخلاق وهو الذي اوحى اليهم البطولة والشفقة وهو الذي جعل قيمة للحياة عندما ينامر الناس في حياتهم .
ومن كان متفائلاً بالحياة فأخلق به ان يكره الموت ، ويخاف شدته ، وانا نول من الذين يكرهون الموت قال :

كان الموت في كل دهر من الدهور مخوفاً فظيماً ، ومهما قالوا لك لا ينبغي لمرء ان تأخذه الخافة من ظلمة اللحد وضيق الأرماس فما الموت الا العدم فالرجل يجيب عن .مقاله هذا بان الساعة الأخيرة تملأ القلوب خوفاً ورعباً . كان الاغريق يرهبون غم الضريح ويخشون هول الموت الا انهم لم يقبجوه ولا شنعوه ، فان مخيلاتهم فسد زينت كل امر من امور الدنيا وجعلت لقلع الحياة بهجة ورونقاً اما القرون الوسطى فقد هوت علينا بنار جهنم وخوفنا بمخيلات كشيبة مستكرهه فصورت لنا شياطين تمر بنا فتتزع من بين جوانب المذنبين ارواحهم ورعبنا بصور المقابر المحزنة واشكال الهياكل العظمية والديدان التي تأكل لحم الاجسام الفاسد وعلى هذا كان الموت شديداً .

ولم يذهب هول المقابر الا في القرن الثامن عشر فقد كانوا يعملون في اعالي القبور الاواني المستظرفة والرياحين والأزاهير فكانت هذه القبور زينة بساتين الانسكايز وحدائقهم .

لم تفجع باريز وحدها باناتول فرانس وانما لجمعت به البشرية برمتها ، لان اناطول رجل الانسانية وليس حظ وطنه منه باذفر من حظ العالم بامره . يقول اناطول : لا يكون الواحد منا انساناً الا اذا أشفق على أخيه ، فلا يلقى بنا ان نستحيل جلود صخر فلنشفق على الضعفاء لانهم يألمون من الأقوياء ولترأف بالسعداء في هذا العالم فقد جاء في الكتاب « ويل للذين يضحكون » .

كان اناطول شفيقاً على الضعفاء وقد بلغت به شفقتة المبالغ فكان عطفه على الضعفاء الذين يألمون من الضهد . مثل عطفه على الضعفاء الذين ينشأ ضعفهم عن أعصابهم فيذهبون في الحب كل مذهب . ألف الكساندر روما رواية يبحث فيها عن قتل رجل لزوجته لخروجها عن العفاف . قال اناطول « لو كنت قاضياً لما برأت القاتل من جنابته اللهم الا ان يطبق اطباء الشرع على انه مصاب بنفالج في جملة اعضائه ، ولا عجب في ذلك ، فان قتل المرأة لأمر عجاب وهيئات ما يطاق الذين يجترؤون على اشباه هذه المذامح . لا ريب في ان زوجة هذا القاتل كانت فاسدة الخلق ، ذات غرائز سيئة ، ولكن هل نسأل عن غرائزنا ، الم يك للتربية والميراث تأثير في اعمالنا . فمن موجب الاسف اننا نولد معوجين لا صهيل الى تقويم اعوجاجنا ، اننا نولد شيباً لا شباناً . لو فكر القاتل

في العناصر التي تؤلف جسم زوجته اللطيف لما حطم هذه الآلة الدقيقة ، وكان غفر لهذه الروح المظلمة جنابة أعصابها ودمها . اسمع ما نقوله الفلسفة الطبيعية في شهرها « ان لأموال الحب أسراراً غامضة ، ان غرائز المتقدمين التي كانت في الاصل تجتمع في بطون الغاب بين أطراف الأبدان المعراة هي نفسها التي تفتق اليوم المرأة تحت ثيابها النفيسة . ما فتئت المرأة تحفظ دم حواء الغابات الكبيرة على علمها بالخفر ، وحرصها على القوانين » .

يعرف انا تول كل ما يستوجبه الأدب ومهاذ الله ان يذهل عنه ، ولكنه يرى ان الرأفة هي احسن الفضائل وان الفلسفة الطبيعية تعلم المسامحة وفضلاً عن ذلك فاذا جاء امر الحب فلا نجد الى التمييز سبيلاً — حبك الشيء يعنى ويصم — الحب في رأي انا تول فرانس هو اللذة التي تحمل الأنواع الحيوانية على التزاوج والناسل ، فهو عنده بمنزلة بقاء النوع عند علماء التاريخ الطبيعي ، وقد آله في كتاباته ، فهو في نظره أقدم الآلهة .

لما ولد هذا الآله لم يكن في العالم اثر من آثار المدل والعقل فلم يجد هذا الآله الشمس شيئاً يخلق به دماغاً وعيوناً وآذاناً . ولد أعمى فهو الآن على الصورة التي ولد عليها وسبقت على هذا الشكل في كل دهر ، يعمل فيخبط في اعماله خبطاً دون شيء من الروية ، التي نظرة على اعماله انها عظيمة ا لقد خلق كل شيء ولكنه خلق بغير عقل ولا فهم ، لقد برأ في اول الامر . حيوانات لله درها من حيوانات ا انه خلق أصدافاً وأسماكاً وزواحف ، وقد كان هذا الآله يومئذ يمش في الماء ثم حسن على سبيل الانفاق والندرج طرائقه تخلق الحيوانات اللبونة ، التي أتعبه وأجهده ثم خلق القردة فبقيت القردة زمناً طويلاً آياته الرائعة ، وقد خلق الانسان بعد القردة فلم يغير هذا الآله من طبيعته ، ولم يبدل من طريقته ، فبقي اعمى كما كان ولم يستعن بالعقل ولن يستعين به بحسب الليالي وهو محق في ذلك لان الحياة سرعان ما انتهى اذا كانت نشرها معقوداً بالعقل .

ان هذا الآله اعمى ولكنه يهودنا والشر كل الشر في ذلك ولكنه شر ابدى ، لان الحب بدوم ما دامت العوالم ، اتنا نقاومه ونستولي عليه اذا كانت اضعف منا ،

ولكنه اذا اشتد استولى علينا وهذا ما يسمونه : منازعة الهوى ومثل الارادة والغزيرة كمثل كفتي ميزان فالكفة الثقيلة هي التي ترجح وتميل .

هذا هو الحب في نظر اناتول فرانس فقد كان سبب حياة الحيوانات من أدائها الى ارقاها ، وهو غريزي في البشر من مبدأ الخليقة الى منتهائها . وهذا ما حمل اناتول على الرأفة بالفاجرة التي خرجت عن العفاف لانها لم تخرج عنه الا بعوامل غريزية متمكنة من لحمها ودمها وأعصابها فلا سبيل لها الى التخاص منها

قلت في صدر المحاضرة كانت بين اناتول وبين ابيه اختلاف في المعتقد وقد امتد هذا الاختلاف الى الذوق فقد كان اناتول يميل الى النمط المدرسي ، ما هو النمط المدرسي ؟ بعد ان همت شآبيب الثورة الفرنسية ولمعت عوارضها انفجرت ثورة أدبية خلقية قلبت طرائق التفكير والحس واسمها النمط الوجداني بدأ بها مدام ستال وشاتو بريان وتجمعت في اربعة شعراء كبار وهم : لامارنين وموسه وفييني وهوغو كان المدرسيون أمثال الشعاعين بوالوراسين يرون ان يمثلوا في فهم جمال الحياة ويعتبرون العقل في الشعر الملكة الغالبة ويقتبسون عن التاريخ القديم نماذج فنهرو يستنزلون وحيهم من سماء الامم المتقدمة فخرج الوجدانيون على هذه القواعد بخذافيرها وهدموا بناء المدرسين ، فرأوا ان يمثلوا في فهم كل ما هو شنيع ومضحك في الحياة ، وان يكون الخيال الملكة الغالبة ، وان يستنزلوا وحيهم من ادب الامم العصرية فيأخذوا عن غيتي وشلر وبايرون وشكسبير ، فبدلاً من ان يكتبوا عن اساطير الاولين كتبوا عن الفن النصراني في القرون الوسطى .

فاناتول فرانس كان يميل الى الفن المدرسي اي انه كان على النمط القديم ، وله في النقد أسلوب خاص فهو من فرقة النقد الذاتي فانه يقتنم فرصة ظهور كتاب من الكتب فيفصح عن خواج نفسه ، ويعرب عن رأي يخامر ضميره وقد جمع رسائل نقده في اربعة كتب سماها « الحياة الادبية » تكاد هذه الكتب تكون مئة . يرى اناتول ان النقد انما هو ضرب من الروايات على نحو الفلسفة والتاريخ تستعمله العقول الفطنة الطلعة وكل رواية اذا فهمنا كل الفهم انما هي ترجمة المؤلف بقلمه ، فالناقد الحاذق هو الذي يروي خواج نفسه في اثناء روايات المؤلفات وهذا الطراز في النقد يسمى النقد الذاتي ،

قال اناتول : « لا يوجد نقد موضوعي أكثر مما يوجد فن موضوعي ، وكل الذين يتبحرون بانهم يضعون في مؤلفاتهم شيئاً غير لواعج انفسهم فهم واهمون ، فالحقيقة ان المرء لا يخرج من نفسه ابداً وهذا من اكبر شقاء الانسانية .

اننا محبوسون في انفسنا فكأننا في حبس ابدي ، والذي يليق بنا ان نعمله هو ان نعترف بحالاتنا الفظيعة ونقر باننا نتكلم عن انفسنا كل ما عجزنا عن السكوت فاذا كان الناقد حراً وجب عليه ان يقول :

« سادتي اني اريد ان اتكلم عني في اثناء كلامي عن شكسبير او راسين او باسكال او غيتي فان في ذلك فرصة جميلة » .

قال اناتول تعرفت الى المسيو كوفيليه فلوري وقد كان نافداً قديماً ، وفي ذات يوم انطلقت نحوه وهو في داره الصغيرة فأراني مكتبته الحقيبة التي كان يفخر بها وقال :

« سيدي انك لتجد كل الأنواع ممثلة في هذه المكتبة كالبلغة والآداب الرفيعة والفلسفة والتاريخ ما خلا النقد فانه يحيط بكل الانواع ، نعم باسيدي فالنقاد يكون نارة خطيباً ، ونارة فيلسوفاً ، ونارة مؤرخاً » . لقد أصاب المسيو كوفيليه فلوري في كلامه فالناقد يجمع كل هذه الصفات او انه قد يمكنه جمعها فاذا أراد ان يبرز اندر القوى العقلية واشدها تنوعاً واختلافاً امكنته مناهز الفرص ، وهو يعمل تاريخ البشر العقلي من دون ان يخرج من نفسه ، فالقند من حيث التاريخ هو آخر صيغة من الصيغ الادبية كلها وربما وصل الى استغراق هذه الصيغ كلها فانه يليق كل اللياقة بالجماعة الممدنة التي تكون ذكراً كثيراً ونفائدها طويلاً وعلى الخصوص فانه مناسب للجماعات الطامة ، المتعلمة ، المصقولة ، ولتقدم النقد يستلزم ثقافة اكثر مما تستلزمه كل الصيغ الادبية الباقية . ابتدع النقد مونتان وبانتونوف وبيل ومونتسكيو فانه يتحدر من الفلسفة والتاريخ وقد استوجب انتشاره وثروقه جيلاً اطلقت فيه الحرية العقلية » .

هذا هو نظر اناتول فرانس في النقد وقد كان نقده اشبه شيء باحاديث بطارحها اهله وخطاهه وكان يسير فيه سير المتزه . فيقف حيث يطيب له الوقوف ويستترسل الى اذواقه وخيالاته على شرط ان يكون في هذا كله صادقاً ، اميناً ، رؤوفاً فلا يريد

ان يعرف كل شيء ولا يشاء ان يفسر كل شيء و يمتقد باختلاف الآراء وتباين
العواطف ويتكلم عما يجب ان يجب .

شغف اناتول فرانس بالنمط القديم شغفا عظيماً ، فانظر الى رأيه في هوغو وهو
من اكابر الشعراء المجددين .

« لا جرم ان علاج هوغو للكلمات كان اكثر من علاجه للافكار فقد ظن انه
أدبج في أسس الفلسفات طائفة من الخيالات والاحلام منقطعة مبتذلة ، والذي يؤمننا
وبفزنا اننا لا نرى في تآليفه الكبيرة بين الكثير من اشخاصه الفظيعة صورة بشرية .
قال الأخرى : الرجل مقياس كل شيء الا ان فيكتور هوغو جاوز كل قياس لانه
غير انساني ولم ينكشف له قط سر النفوس . لم يخلق هوغو ليفهم ولينجب ، وقد شعر
بذلك من غريزته ولهذا فقد أراد ان يدهش الناس وقدر على ذلك حيناً من الدهر
طويلاً ، ولكن هل يستطيع المرء ان يدهش غيره في كل وقت . عاش فيكتور هوغو
ثلاثاً تسكره الألوان ورنات الأصوات وقد أسكر العالم بذلك . هذه هي عبقريته
كلها انه ذوا أفكار غريبة وانه متفنن منقطع النظر وهذا شيء كثير ولكنه ليس بكل شيء .
هذا هو رأي اناتول في هوغو فان اناتول شغف بلغته القديمة ، ذاهب في الحرص
عليها كل مذهب ، ولم يفردات اللغة لانه يرى في هذه اللغة صورة وطبه وقومه من
قديم الدهر وحديثه ، ومرآة تنعكس فيها حضارة أمته ، فاللغة ملكت عليه عقله ولبه
فهو يحب معجمات اللغة لانها تحتوي على شيء جميل نغم فقد قال :

« انظر الى معجم غازيه او غيره من المعجمات ، وتصور انك ترى روح وطننا في
هذا المعجم ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات عبقرية فرنسة وطبيعتها . ليتصور ذهنك
ان فيها أفكارنا وأفكار اجدادنا ، وأفراحنا وأفراحهم ، وأعمالنا وأعمالهم ، وآلامنا
وآلامهم . ليخطر ببالك ن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ،
وآثار الذب استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم الرقيق الذي تشمه اليوم . ليخطر
ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر
لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ،
ليعجز في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها .»

بحث اناطول فرانس في كتابه «العبقريّة اللاتينية» عن لغة الشاعر لافونتين فقال :
كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا
حسن اختياره للألفاظ . فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الإصابة في الحكم
الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة . واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو
الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ . قد يقع في أغلب الحالات
ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا بدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض
لما عاقروا . ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم بضيء طلمة كل شيء .
اني لا اجد عناء في بيان المأخذ التي أخذ عنها لافونتين أسلوبه ، لقد اخذ عن
المتقدمين من الشعراء والتفصيص ، يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على
كلمة قديمة جزلة المعنى استخرجها من موضوعها واستعملها في شعره في المقام المناسب .
وقد استعمل ايضاً في أشعاره عدداً كبيراً من التعابير التي استعملت في عصر غير
عصره ، ولكنه اعاد الى هذه التعابير شبابها .

فلا ينبغي لنا ان نضيع شيئاً مما يمكن ان نفعنا ، وهذه حكمة اقتصادية تنطبق على
كل الخبرات ، فهي تنطبق على خبرات اللغة كما تنطبق على غيرها فاذا أضاعت كلمة
طيبة الأصل معناها الاول واصبحت لا تستعمل الا في معناها الخاص او في معناها
المحرف ، فنجدير بالكاتب الحكيم ان يعيد الى هذه الكلمة سمة معناها الاول ويفتحه
وعلى هذا مشى راسين ولافونتين . ثم قال :

يتبين لنا ان لافونتين الذي استعمل هذه الكلمات كلها لم يخترع شيئاً منها وليعلم
الانسان ان حذاق الكتاب هم في الأعم من الأحوال قليلو الميل الى توليد الألفاظ ،
فان كنز اللغة المشترك كاف وهذا الكنز لا ينقب فيه الذين يكتبون على السواء ،
فكثير منهم لا يجدون فيه ما يحتاجون اليه اما لكسبهم واما لفقدان عبقرتهم .
اما لافونتين فقد استخرج منه كنوزاً .

وبعد ان اشبع اناطول الكلام في لغة لافونتين قال :

« اتنى لو ان آرائي هذه تقوي في بعض العقول محبة لغتنا ، لقد تغيرت هذه
اللغة مرات كثيرة ، ولكن لم تتغير الا محاسنها . لقد قوي امرها ، وانبسط أقدامها

واغناها كل نشء من عنده بكلمات تدل على افكار وعواطف وافراح وآلام وعلى
مجهود ملايين من الناس ، لقد جاءت اليئسا على هذا النحو مترعة الجوانب من قرن
الى قرن ، وهذا الميراث الوطني عزيز على كل النفوس التي تحب وطنها .

* * *

هذا بعض ما يمثله الخاطر وتصوره البال من آيات اناتول فرانس ، وما ذكرته انما
هو غيض من فيض . ولئن فاني كثير من صوب عقله ، ونسج طبعه . فلا يفواني
حفظه لغة قومه في القرن العشرين ، ودعوته شباب وطنه الى محبة لغتهم . فقد ملكت
عليه لغته مشاعره ، احسن اليها ولم يسيء ، وبرثها ولم يهق ، واشفق عليها ولم يك
جباراً عنيداً ، ولم يرف فيها رأي طائفة من أدبائنا في هذا العصر رغبوا عن لغتنا القديمة
كل مرغب ، وانقبضوا عنها كل منقبض على انه ما ادخرت الآباء للابناء ، ولا أبقيت
الموتى الاحياء شيئاً افضل من هذه اللغة . ولئن عبثت الايام بمديد ملكنا فانها عجزت
عن العبث بهراثنا الوطني وهو اللغة . صارعت لغتنا لغات شتى تعاقبت في آفاق الشام من
قديم الدهر^(١) فصرعت هذه اللغات بمخادفها ، بعد ان سلبت حضارات اعلمها اجمل
جمالها واحسن حسنها وتمكنت في ربوع الشام وكثير من بقاع الارض تمكن الاحياء الذين
صارعتهم الطبيعة وصارعوها ومارستهم ومارسوها فعجزت عنهم فتركهم وشأنهم
يستضيئون بضياءها ويستنشقون من نسيمها ، اشتملت لغتنا على بدارة الجاهلية وحضارة
الاسلام . واستوعبت شدة بني أمية ورخاوة بني العباس . ولئن درست رسومنا
وطمست آثارنا فأضعنا ما أضعنا فقد بقي لنا رسم حفظ لنا ما قذفت به الخواطر وجاشت به
الصدور . فرحم الله امرءاً نهى هذا الرسم ونقده ، فزاد في محاسنه ونقص من مقابحه ا

—*—

(١) ألقى نظرة على الجزء الاول من خطط الشام للاستاذ العلامة رئيس مجملنا
العلمي ، وتدير فيه فصل « لغات الشام » البارع

قانون البلاغة

— ٤ —

قال الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر . وقيل للمتعايي : ما البلاغة فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ . فان أردت اللسان الذي يروق الألسنة ، ويفوت كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الأمر ، وتصوير الباطل في صورة الحق . واعلم أسعدك الله انه لا يتسع جريك في مضمير البلاغة ، وان كانت القرينة في نهاية الذكاء والثقافة ، الا بالاتساع في دراسة العلوم ، والافتنان في الآداب ، وحفظ مجامع اللغة ، والنظر في احكام الكتاب والسنة ، لتنفقه في لحن المنطق وتنفسه في معرفة الألفاظ ، فلا تبدع في بدهة بل تهجول (في خطاب كذا) او كتاب ابتداءً وجواباً عنروب لفظ من اللغة ، او استهجام غريب من القول عليك ، فيكثفك من الحصر ما اكتنف (عمرو بن مسعدة عند مجادلة الحائك إياه : فانه حكى يوسف بن حماد قال : سمعت عمرو بن مسعدة^(١) يقول : كنت مع المعتصم مقدمه من الثغر فلما بلغنا الرقة قال لي : يا عمرو الا تعجب من داود بن سليمان الرجعي^(٢) بالاهواز وفي بيت المال ونسله الدنيا : عنده اموال مجتمعة وقد كتب اليّ بأشياء لا يعدر مثله في مثلها فاخرج اليه حتى تحمله في الحديد ونقل ما قبله من المال فخرجت فينا انا اسير بين دير هرقل

(١) في الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ان هذه القصة وقعت للرشيدي مع وزيره عمرو بن مسعدة (راجع ص ١٥٦ من الجزء الثاني طبعة محمد مصطفى فهمي المصرية) وفي العقد لابن عبد ربه انها وقعت للمعتصم مع عمرو بن مسعدة وهو غير صحيح لان عمراً هذا توفي سنة ٢١٧ . وفي هامش النسخة الاصلية هكذا : طبقات الكتاب المشاهير عبد الحميد وابن العميد واحمد بن يوسف واسماعيل بن صبيح وعمرو بن مسعدة . (٢) قوله الا تعجب الي آخره مكان هذه العبارة من كتاب الامامة والسياسة ما نصه : ما زلت نكثني وتسلطني في الرجعي حتى وليته الأهواز فقدم في مرة الدنيا بأكلها خضماً وقضماً ولم يوجه البنا درهماً ، فاخرج اليه الخ .

ودبر العاقول في وقت الهاجرة في زلال^(١) فيه خيش وتلج ، سمعت صائحاً ينادي باملاح
صوناً بعد صوت فلما كثر ذلك عليّ رفعت سبحف الزلال ، فاذا انا بشيخ حاصر الرأس
حاي في الرّجل على الشط فحملته فلما دعوت بالطعام دعوته فأكل أكل متأدب ،
فلما رفع الطعام قدرت انه يقوم كما يقوم العامة من موائد الخاصة ، فلم يفعل فاستحجمته
فقلت : ما صناعتك فقال : حائك أعزك الله . ثم قال : وانت اي شيّ تعمل جعلت
فذاك قلت : كاتب فقال : اصلحك الله من اي الكتاب انت فانهم خمسة أصناف .
قال عمرو فوردت عليّ منه طامة ثم قلت له : سمعهم فقال : كاتب خراج ، وكاتب
رسائل ، وكاتب حاكم ، وكاتب جند ، وكاتب معونة .

اما كاتب الخراج فيحتاج الى ان يكون عالماً بالطسوق^(٢) والمساحة والمقاييسات
خبيراً بالحساب . اما كاتب الرسائل فان يكون عارفاً بالاصول والفروع ، والفصول
والوصول ، حاذقاً بالانجاز والصدور ، والفتوح والعبود . واما كاتب الحاكم فان
يكون عالماً بالاحكام حافظاً للشروط حاذقاً باختلاف الناس ، في الاموال والنزوح .
واما كاتب الجند فان يكون عالماً بشيات الخيل وحلي الرجال . واما كاتب المعونة اي
الشرطة فان يكون عالماً بانهصاص والجراحات والحدود .

فقلت له : فاني كاتب رسائل . فقال لي : أخ من إخوانك واجب الحق عليك ،
تزوجت امته كيف تهنؤه ، ففكرت ساعة ولم يقبه لي شيّ لا فقلت : لا أكاتبه لانه
بالمصاب أشبه فقال : فعزّه إذن ، ففكرت ساعة فلم يجئني فيه شيّ ، فقلت له : افلني من
هذا الفن فاني كاتب خراج قال : ثاب سلطانك بعثك على ناحية ، وتقدم اليك
بالعدل والانصاف ، وامرك ان لا تدع شيئاً من حق السلطان بضيع ، وحذرك ان
تسكي ، فأخرجت عمالك ، وتقدمت اليهم بالعدل ، وحذرتهم ان يسكوا ، فقدم

- (١) الزلال كغراب ضرب من السفن التي تسير في دجلة كالطرافة والطيّار .
(٢) الطسق ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الارض
وكتب عمر الى عثمان : ارفع الجزية عن رؤوسها وخذ الطسق من ارضيها . وقيل
شبه الخراج له مقدار معلوم .

عليك اهل الناحية يشكون عمالك ، فأشجبتهم وسألتهم عن ذلك ، فخلعوا بالله لقد انصفوهم
 ولقد خشوا ان يكونوا جافوا^(١) على السلطان فخرجت الى العمل بنفسك ناظراً ، فوقفوا
 بك على قراح^(٢) لان تمسحه كيف تمسحه ففكرت ساعة وتجامرت في الجواب ثم قلت :
 آخذ وسطه ثم آخذ طوله فاضربه فيه ، فقال : تختلف عليك العطوف ؛ قلت : آخذ
 طوله وعرضه من ثلاثة مواضع فقال : ان طرفه محدودان ، وفي تحديدهما تقويس .
 ففكرت ساعة فاعيانى الجواب فيه ، ولم ينجم لي فيه شيء فقلت له اقلني من هذا الفن
 فاني كاتب فاض . فقال : ان رجلاً أجبل حرة له وسرية فولدتا في ليلة واحدة ،
 فولدت الحرة جارية ، والسرية غلاماً ، فحملت الحرة الغيرة الى ان حوتت الابن الى
 مهداها والبتت الى مهد السرية ، فتحا كمتا اليك ، ما كنت تقضي بينهما فقلت لا علم
 لي بذلك انا كاتب جند قال : فان رجلين تقدمتا اليك من اهل عسكر واحد سمهما
 واحد . ذا اسمه احمد وذا احمد . هذا مشقوق الشفة العليا وهذا مشقوق الشفة السفلى
 كيف تخايمها قلت اكتب لهما احمد الاعلم واحمد الاعلم . قال : اذا يأخذ ذا رزق
 ذا ، وذا رزق ذا ، فنقع بينهما في حيرة ، ففكرت ساعة فلم ينجم لي فيه شيء . فقلت :
 لا علم لي بذلك انا كاتب شرطة^(٣) قال : فان رجلان تقدمتا اليك احدهما قد شج
 موضحة فوثب عليه المشجوج فشججه مأومة ، كم تجمل بينهما من الابل قلت : لا ادري
 فقال : فليست كاتب شرطة ، فقلت ففسر لي ما قلت قال حباً وكرامة . اما الرجل
 الذي تزوجت امه ، فالوجه ان تكتب اليه ان الاقدار تجري بغير محاب الخلقين ،
 ولوت في عافية خير من شائبة في الملك ، والله يخار للمبد فخار الله لك في قبضها
 اليه فان القبور (اكرم) الاكفاء . واما القراح فتمسح اعوجاجه كم يكون قصبه ، ثم
 تضرب بعضه في بعض ، فاذا استوى في يدك عقد تعرفه ، رجعت الى المستوي فيه
 ففصرته فيه . واما الحرة والسرية فانه يوزن لبنها فمن كانت أخف لبناً فالابن^(٤) لها

(١) لعل صوابه جنفوا على السلطان اي جاروا . (٢) القراح الارض لاما ، فيها
 ولا شجير وقيل الخلصة للزرع والغرس جمعه اقرحة . (٣) قوله كاتب شرطة في هامش
 الاصل اي ديوان المظالم والشحن وسمي ديوان المعونة ايضاً كما تقدم ذكره . (٤) كذا في
 الاصل والظاهر فالبتت لها وهكذا في العقد والامامة والسياسة .

واما الجند فيكتب احمد الأعمى مشقوق الشفة العليا واحمد الأفلح مشقوق الشفة السفلى .
واما الشجة في المأمومة ثلاث وثلاثون من الأبل وثلاث وفي الموضحة خمس من الأبل
فيرد عليه ثمانية وعشرين وثلاثاً قلت : الست زعمت انك حائك قال : نعم ولكن أحوك
الكلام واذا رجع قد أدبه الزمان ، وأحكمه العلم .

والمعاني اسمعك الله نفع ، والألفاظ مشتركة ، فمن سبق الى معنى ثم جاء بعده
من يتعاطاه ، فان أخذه بلفظه كما هو كان سارقاً ، وان أخذه بيمض لفظه كان
ساخلاً ، وان أخذه وكساه من عنده كان هو اولى به من الاول .

ويقال ان ابا عذرة الكلام من سبك لفظاً على معنى ، لا من اخذ معنى بلفظه ،
وقلما تجد شعر شاعر ، او رسالة كاتب ، او خطبة خاطب ، الا وجدت فيه معنى مسبوقة
اليه ولفظاً مشهوراً قبله . وقد قال ابو تمام يصف ذلك :

يقول من يقرع أسمائه كم ترك الأول للآخر

فمن ذلك ان اسماعيل بن صبيح كتب الى بعض الامراء : في شكر ما تقدم من
إحسانك ، شاغل عن استنباط ما تأخر منه . فأخذ هذا المعنى احمد بن يوسف فقال
في بعض كتبه : أحق من أثبت لك العذر في حال شغلك ، من لم يجز ساعة من
برك في وقت فراغك . ثم اخذه سعيد بن حميد فقال : لست مستقبلاً لشكر ما مضى
من اياديك^(١) ، فأستبطني ذرك ما أوتمل من مزيدك . ثم أخذه حمد بن مهران
فقال : لان تعذرت حاجتي فبالك ، لطالما تيسر لي امثالها عندك ، ولست اجمع الى
اليجز عن شكر ما أمكن ، التسرع الى الاستنباط فيما تعذر . وسلك الى الطريقة
ابو نواس فقال :

لا تجدنني الي عارفة حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقول ابي نواس اربى على جميع ما تقدم في اخذ هذا المعنى . وسلك هذا الطريق
من جهة أخرى الضرير فقال : وقد الي انك أصبت بشيء من مالك ، لو لم تصب به
لا مرعت النوائب اليه ، واتى كرمك عليه .

وكما انه مطلق لمن لطف في اخذ المعنى فكذلك هو محظور على من لم يكن فيه آلة

(١) خ بلاك .

الأخذ ان بطور به ^(١) لان الحاذق والبارع يخفي ديبه الى الشيء حتى يستخرجه ،
 والمتخلف البليد يظهر تسوره على الامر اذا اراده .
 اللسان هو ترجمان القلب ، وأداة يدرك بها التأليف ، ويلتمس بها النقطيع ، وبه
 يظهر ما يحتمه الفكر . وقيل في المثل المرء محبوبٌ تحت لسانه . ويقال : ان روح الحياة
 اذا كان ظاهراً كان جمالاً ، واذا كان باطناً كان لساناً . ونال علي بن عبيدة :
 الا لست ^(٢) القارب يؤدي عن ضمائرنا المنطق بالفاظ شرايع ^(٣) ما استنبطه من الحكمة
 واللسان كاشف لما يحتميه الاغماض .

وفي كتاب الموصيقي ان الانسان حاس ، والعقل لطيف ، وليس لفكرة العاقل
 غاية يدركها اللسان . ومع هذا فان اللسان ترجمان ، وليس للترجمان ان يبلغ منزلة
 المترجم . وقيل اللسان عضو فان مرنته مران . وان تركته حران . واللسان فضائل
 معدومة في الجوارح ، ودرجة عالية على درجاتها ، لما خصه الله به من استعماله في
 المنطق والبيان .

قال عمرو بن بجر : في اللسان خصالٌ هو أداةٌ يظهر بها البيان ، وشاهد يبر عن
 الضمير ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الاشياء ، وناطق ^(٤) يفصل
 الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومُزِرٌّ تبرد به الاحزان ،
 ومعتذر يذهب بالضغينة ، وملهم يوقن الاسماع ، وزارع يحرز المودة ، وحاصد يستأصل
 المداوة ، وشاكر يستوجب المزيد ، ومأزح تستحق به الزلفة ، ومؤنس يذهب بالوحشة
 ومزين يدعو الى الحسنى .

الصوت هو آلة اللفظ ، والذي به يبلغ السامع ما يدركه الفكر .
 الفكر هو مستنبط الحكمة ومستشار الصوت ، ومستوضع غوامض الأدلة ، وكاشف
 ضباب الغفلة عن الاثمة .

البيان هو اسم لكل شيء كشف لك فناع المني ، وملك حجب الضمير ، وابدئ مكنونه .

(١) يقال انا لا اطور بفلان اي لا احوم حوله ولا ادنو منه . (٢) لعله سقط هنا
 لفظ « يريد » او « ترجمان » او « ماثلها » . (٣) لعلها شرائف او شريفة . (٤) لعل
 صوابه قاض .

المعاني هي الحادثة بالذكر ، المتصورة للعقل ، الجائلة في الفكر . وهي بعيدة وحشية ، معدومة في حال ، موجودة في أخرى ، ممتدة الى غير غاية ، وبسوطه الى غير نهاية . البلاغة هي ان يبلغ السامع أقصى نهاية المعنى الخاطر بقلبك ، فتصوره لك كنصوره عندك ، بالابانة عنه والافصاح به .

وقيل : الفصاحة لغة دالة . وقال بعضهم : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ودنو المأخذ ، وإيجاز في صواب ، وقصد الى الحجة ، وحسن الاستعارة .

وقال آخر : البلاغة ان يعرف الفصل من الوصل ^(١) . وقال ثمامة بن الاشرس : قلت لجعفر بن يحيى ما البلاغة فقال : ان تكون تحيط بمعناك . وتحكي عن مغزاك . وتخرجه من الشراكة . ولا يستعين السامع عليه بطول الفكرة . ويكون سلباً من التكلف . يرتباً من الصنعة . بعيداً من التعكير . غنياً عن التأويل .

وقال الحجاج لابن القريه : ما الحرف وما الحكمة وما الكلام . فقال : الحرف فرد والحكمة جماعة . والكلام على عشرة أبواب : سبعة قوابع وثلاثة جوامع . فالقوابع جراءة الصدر ، وفقدان الحصر ، واتساق القول وبيان الكلام ، وقلة التخيخ ، والقول متى شاء ، والوقوف اذا شاء . والجوامع ان يشبه اول قوله آخره ، ويختار حسن اللفظ ويعرف قصة (?) الحكمة . وقال معوية : البلاغة كلام يتحدر على الطبع كما يتحدر الماء على الكبد الحري . لا يحمل الطبع فيه على غير مذهبه . فيظن فيه تقيصة التكلف وعيب التخلق . وقال قائل : عيوب المنطق صنفان صنف مذموم وصنف خلقية ^(٢) لا سبيل الى الانتقال عنها . والمذمومات توجب الدم اذا كان الافلاح عنها الى غيرها ممكناً . والخلقية كاللثفة واللفلفة ^(٣) والرتة والحبسة والحكمة والفأفة واللججة والتمتمة .

(١) وفي هامش الاصل وقال ابوتام : حد البلاغة معرفة مواقع الفصل والوصل .
(٢) اي من قبيل العيوب الخلقية . (٣) اللفلفة التي (الرتة) بالضم والتشديد ردة فبيحة في اللسان وقيل هي العجمة في الكلام كالحكمة . والفأفة هي صنعة الفأفء وهو الذي لا يقدر على إخراج الحكمة من لسانه الا يجهد ويتندي في اول إخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد بالجهد حروف الحكمة على الصحة هكذا فسرها المطرزي .

ومن فساد المنطق فساد مخارج الصوت مثل اليجمة وعدم اعتدال المخارج من الحلق والخياشيم والصدر فالشعثة تكون في الرء لتقلب الى الغين او الياء او الدال واللفظة ان ان لا يخرج الكلام الا بشق الأتفس والرتة والحبسة واحد والحكمة كالبيجة حتى كأنه يسر كلامه والفاءة التردد في الفاء والبتمة التردد في التاء .

وقال عمرو بن بحر : من عيوب المنطق التصحيف وسوء التأويل والخطأ في الترجمة فالتصحيف يكون من وجوه : احدها من التخفيف والثقيل ، ومن قبل الاعراب ومن تشابه صور الحروف . وسوء التأويل يكون من الاسماء المتواطئة وهو انك تجد اسماً بمان فتأويل بغير المراد ، وكذلك سوء الترجمة . غير ان الكلام المحتمل على المعاني يكون بالفارسية المنقولة الى غيرها . وقال العتابي : الاستعانة من فساد الكلام . فسئل عن التأويل فقال : اذا قال عند مقطع قوله باعانة ، واسمع مني ، وافهم عني ، وما أشبه ذلك كله عي (١) .

ومن لمع صناعة الشعر للأردستاني (٢) وهو محمد بن احمد قال : وكانت العرب انما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وصحة المبني ، فتسلم النسق فيه لمن وصف فأصاب والطف ، وشبهه فسدد ، ولان كثرت له سواثر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، ولم يكن يهتم بتشبيح البديع اذا حصل له عمود الشعر ، ونظام القريض ، على انه قد كان منهم من يهتم بتشبيح شعره ، ويتمهل لتحسين ألفاظه وتشبيهها ، وترصين مبانیه ومعانيه وتهذيبها ، مثل زهير والاعشى والحطيئة وابي صخر الهذلي وعدي بن

(١) في الهامش هذه العبارة : وقيل قتل الأصابع والنكت على الارض هو ايضاً من العي . (٢) هو غير كتاب معاني الشعر للاشنانداني وفي دارالكتب العربية بدمشق نسخة مخطوطة من هذا الكتاب وقد أورد صاحب كشف الظنون اسم كتابين باسم « صناعة الشعر » احدهما للحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع المتوفى بعد ثمانين وثلاثمائة والآخر لابي سعيد حسن بن عبد الله السيرافي النجوي المتوفى سنة ٣٦٨ . وقد طبع كتاب الاشنانداني مؤخراً في دمشق (١٣٤٠) والاردستاني نسبة لاردستان مدينة بين قاشان واصهران في فارس .

الرفاع وابي المثلّم والخنساء وغيرهم . فان اثر الصنعة ظاهر في اشعار هذه الطبقة ،
ودال على مقاصدهم فيها ، وشاهد بمعرفتهم بها ، ويدل على ذلك افتخارهم في اشعارهم
بالتجويد . ووصفهم لمصابرة القول ومكابدة السهر فيه والتخير منه . والصبر على عرضه
وعمله حولاً . حتى قالوا : خير الشعر الحولي المنقح . يروي ذلك عن الحطيئة فقالوا :
حوليات زهير . وقد ذكرت الشعراء ذلك في مفاخرهم فقال صوبد بن كراع يذكر
نقوميه شعره وطول مصابرتة له :

ابيت بابواب القوافي كأنما اصابدي^(١) بها مبريا من الوحش نزا
أكلها^(٢) حتى اعرض من بعدما يكون سحيراً او بهيداً فأهجما
اذا خفت ان تروى علي رددتها وراء الترافي خشية ان تطأها

فاخبر ان القوافي نعمتص عليه وانه يكالها ويكابدها ويسهر لها الى ان نتقاد له .
وقال حارثة بن بدر :

فج الآله الايف الاماضى والشعر بعد مرقش ومهابل
وابي دؤاد او عبيد كلما نطقوا أصابوا فيه فص المفصل

فمدحهم بالاصابة والتجويد . وقال عدي بن الرفاع :

وقصيدة قد بت أجمع بينهما حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافته منادها

فأخبر انه يعاود النظر ويكرره حتى يثقفه . وقال عمرو^(٣) بن هند :

فان اهلك فقد اقيت بعدي قوافي تعجب المثلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا
(للبحث صلة)

—•••—

(١) صاداه عارضه يقال (من صادك فقد صادك) . (٢) كالبه ضايقه مضايقة
الكلاب بعضها بعضاً عند الممارسة . (٣) في الاصل (عمرو بن) فجاء بعض النساخ
وزاد كلمة (هند) .

كتابات تدمرية وتفسيرها

يوجد في دار الآثار العربية بدمشق مجموعة نفيسة من العاديات التدمرية ، معظمها تماثيل قبورية وعلى أكثرها كتابة موجزة باحرف تدمرية ، تشير الى اسم المتوفي ونسبه وفي بعض الاحيان الى تاريخ وفاته ، شأن معظم الكتابات القبرية المكتشفة في اطلال تدمر . وهذه التماثيل هي غاية في الإيقان ، ولها فائدة أثرية ولكتابتها شأن خصوصاً في علم الخطوط وتطوراتها .

ما نشر رقم (١) هذه التماثيل تبعاً في مجلة المجمع العلمي العربي مع صورها وتفسير كتاباتها ليتسنى للذين يهمهم هذا البحث الاطلاع على هذه المجموعة ، واذ كان بعض هذه التماثيل قد ماكنه قبلنا أناس آخرون فنحن بالطبع لا ندرى اذا كان سبق لفيرنا وكتب شيئاً عن الكتابات التي عليها لعدم وجود المراجع الكافية لديّ اللهم الا القليل منها الذي نشره علماء الآثار ومنهم من أخطأ بقراءة بعض الاسماء ائتمم حصوله على النسخة الاصلية ، او لفظ في القل ، او لعدم وضوح الرقيم . ولذا سأعيد نشرها مع الاشارة الى ذلك .

« الكتابة الاولى »

تمثال نصفي لامرأة تدمرية (شكل ١) كتب على يسارها العبارة الآتية :

١	הדורת	هديرة (بنت)
٢	אחא ברת	اخا ، بنت
٣	בולחא	بولخا ،
٤	בר ברעא	بن برعا ،
٥	בר זבדעתה	بن زبدعته
٦	חבל	والاصفاة ا
٧	בורה	بشهر

(١) الرُّقْم جمع رقيم وأصبح يراد به كل كتابة أثرية محفورة او منقوشة على

صخر (Inscriptions) .





شكل (1)





شكل (٣)



٨	בוסן	نيسان
٩	שנת	سنة
10	480	480
11		

من السهل قراءة هذه الكتابة لانها واضحة جلية ، وان كان قسم منها غير ظاهر في الرسم ولكنه محقق في الاصل . وجميع اعلامها معروفة وشائعة الاستعمال في الكتابات التدمرية وليس فيها لفظ غريب .

س (١) אבדת (مديرة) علم مؤنث اتي ذكره في بعض كتابات ضريح (إله بل) المعروف اليوم بقصر العروس في تدمر (Chabot. Choix d'Inscriptions palmyreniennes) وقد أغفل النحات كلمة (بنت) بعد هذا العلم حسبا أشرنا واحيانا يستغنى عن هذه اللفظة في مثل هذه الكتابات وتذكر الانساب بدونها .

س (٢) אבדת (اخا) علم مؤنث معروف - Chabot - Notes d' Epigraphie et d' Archéologie orientale No 16)

س (٣) אבדת (بولغا) و אבדת (برعا) و אבדת (زبدعته) جميعها اعلام مذكرة وقد جاء ذكر الثاني منها في بعض الكتابات التي نشرت في (Melanges de la Faculté Orientale pp.170 et 171. — Revue bibliques 1897 P. 594)

والثالث نشر في (Chabot-Choix d' Inscrip. palmyr. p. 66) واما كلمة السطر السادس אבדת (خبل) فقلما تخلو منها كتابة فبرية تدمرية وهي لفظة نفيد التمسر على الفقيد ونعربها (والأسفاه) ١
ومما يزيد في شأن هذه الكتابة انها مؤرخة بما يفيد وقت الوفاة وهو شهر نيسان سنة ٤٨٠ صلوقية ^(١) الموافقة لسنة ١٦٩ ميلادية .

(١) يتندي التاريخ السلوقي في ١ تشرين الاول سنة ٣١٢ قبل الميلاد .

وقد نشر هذه الكتابة كل من الاساتذة : مولر (Müller No 15) وشابو (Chabot No 50) وجوسن (Jaussen N°5). عن صور غير واضحة او نسخ مغلوطة . فأخطأ الاول بقراءة السطر الثاني فقرأ بر (ابن) عوضاً عن بر (بنت) وعلى الرغم من كون تاء التأنيث واضحة في الكتابة فان العلام الذي قبلها مؤنث ولذا يجب ان تكون هذه اللفظة مؤنثة ايضاً . وقرأ ايضاً السطر الرابع بر (برعن) ولكنه استدرك خطأ الناسخ واقترح تصحيحه (برعا) كما ترجمته آناً وقراءة بقية الاساتذة منقحة مع ما أثبتناه .

« الكتابة الثانية »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٢) وعلى يساره قد كتب هذه العبارة :

١ حورن بر - خيرن ، بن

٢ مراد مراد

٣ بر يدني بن ، يدني ،

٤ حبل وأسفاه

س (١) حورن (خيرن) علم مذكر شائع بين الاعلام التدمرية .

س (٢) مراد مراد (مراد) جاء في الكتاب المقدس علم يقاربه وهو مراد

(مراد) (١٠١ اي ٤ : ١٧ و ١٨) .

س (٣) بر يدني (يدني) علم تدمري معروف معناه المحبوب ويقابله من الاعلام

التي جاءت في الكتاب المقدس ١٦١ (يدو) .

س (٤) ولفظة السطر الاخير هي كلمة (خيرن) المعروفة كما بينتها اولاً .

« الكتابة الثالثة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٣) والكتابة واقعة على اليسار وهي :

١ ملكو بر ملكو بن

٢ يدي بر يدني بن

٣ فتيح فتيح

٤ حبل وأسفاه

س (٢ او ١) ١٢٦٦٦ (ملكو) و ١٦١ (بدّي) علان شاع استعمالها في تلك العصور، وقد جاء ذكر الاول في (Chabot Choix d' Inscrip. palmyr. p. 120) والثاني في الكتابة التي قبل هذه . واما العلم الثالث فبالرغم من ان قراءته لا تدع مجالاً للشك بصحتها لوضوح حروفها . فانه لم يسبق العثور على هذا العلم ، ولعله جديد بين الأعلام التدمرية . وقد نُشر هذه الكتابة الاساتذة : جوسن (Jaussen) ومولر (Müller) فأشكل عليها قراءة العلم الثالث فقرأوه פתוחזב (فتيخزب) والأصح ما ذكرنا لانه لا أثر للحرف (آ) في الأصل . وختت هذه الكتابة بكلمة (خَبَل) المعبودة .

« الكتابة الرابعة »

تمثال نصفي لرجل تدمري (شكل ٤) والكتابة على جهة اليمين هكذا :

١ חבל وأسفاه

٢ חיךن حيرن ، (بن)

٣ חמר مردا

قد سبق في الكتابة الثالثة ذكر العيين المذكورين في هذه الكتابة . وهذه الكتابة تختلف عما سبقها بشكل حروفها وخصوصاً (ح) وقد سطرت عمودياً وأعمل النحات كلمة (ابن) ولذلك اشكل على معرفة اي منها ابن للآخر . وكلمة (خَبَل) لا نفيدنا شيئاً هنا لان هذه اللفظة أفتتح الرُوم القبرية بها او تختمت اذ يجمع بينهما .
(للكلام صلة) مدير دار الآثار العربية

جعفر الحيني



عثرات الافلام

— ٣٠ —

ومن عثراتها قولهم (لا تزيد ان نشور عليكم في هذه المسألة) صوابه (نشير)
من أشار ولم يرد شار عليه ثلاثياً بهذا المعنى .
ومنها قولهم (فكتمت عنه ما كان يجوش في خاطري) صوابه (يجيش) من
جاش جيشاناً وهو لم يرد بهذا المعنى الا بائياً .
ومنها قولهم (سافر الى بار يز وعهد الى فلان زمام الأعمال) صوابه عهد اليه في
زمام الاعمال على ان كلمة (الزمام) لا تناسب هنا فالأصح حذفها ويقال (عهد اليه
في أعماله) او يقال (سلمه زمام أعماله) او (ألقى اليه زمام أعماله) .
ومنها قولهم (اولاده يتناغون جوعاً) لا يوجد لناغى بهذا المعنى وانما هو
(يتضاغون) جوعاً او (يتضورون) جوعاً .
ومنها قولهم (وله خط دقيق الحرف بالكاد لا تقرأه) . وبمضمم يقول (بالكاد
تقرأه) من دون حرف النفي . وكلاهما خطأ : اذ المراد من الجملة ان قراءة الخط
صعبة لا تسهل قراءتها على الانسان الا بعد تعب وجهد . فاذا كان معنى (كاد)
القرب كان فعلاً ماضياً ولا يصح ادخال لام التعريف عليه . وان كان معناها التعب
والالاحاح وجب ان يقال : (بالكاد) بتشديد الدال كما يقولون أحياناً . ومهما يكن
فان الجملة غير صحيحة التركيب والصواب ان يقال مكانها (خطه دقيق لا يكاد يقرأ)
او (لا تكاد تقرأه) او (لا يتبينه الطرف) او (فلما لتيسر قراءته) او (لا يقرأ
بسهولة) او (يقرأ بالكد والتعب) او غير ذلك .

www.alukah.net

المجمع العلمي العربي

« يوم ٤ شباط ١٩٢٧ و ٢ شعبان ١٣٤٥ »

غصت ردهة المحاضرات في المجمع العلمي العربي في هذا اليوم لسماع محاضرة رئيسه وموضوعها « ابو حيان التوحيدي وفلسفته وتصوفه وعلمه والجميات العلمية السرية والجهرية والمجامع والمجالس الادبية في القرن الرابع » . وقد حضر المحاضرة سعادة المسيو بيراليب المندوب الممتاز لدى دولة سورية وحكومة جبل الدروز ومعه معاونه المسيو فيبر وكان الترجمان يترجم لسعادة المندوب كل جملة يلقاها المحاضر . وبعد ذلك عقد المجمع جلسته فحضرها المندوب المشار اليه وغبطة العلامة السيد غرغور يوس حداد بطريرك طائفة الروم الارثوذكس وغيرهم من الفضلاء . فبدأت الجلسة ونعى الرئيس للاعضاء عضو المجمع العلمي العربي في باريز العلامة المرحوم كليات عوار واقترح ايقاف الجلسة خمس دقائق اكراماً لخدمته وابفاء لحقوق الزمالة ثم تلا امين السر محضر الجلسة الماضية وعند الرئيس ما ورد على المجمع منذ الجلسة الماضية من الكتب المهمة فكان خمسة وسبعين مجلداً وأشار الى الاثر النفيس الذي عثر عليه في دمشق من القرن الخامس وما في وضعه في دار الآثار من الشأن العظيم للتاريخ وعلم العاديات الاسلامية . وجرى البحث بعدئذ في عيد دارالكتب الحسيني الذي سبرأسه العلامة الاستاذ سليم افندي البخاري احد مؤسسي تلك الدار تحت رعاية سمو رئيس الدولة وان المعارف منزل عن جميع المدرسة الظاهرية الى المجمع العلمي فيخصها بدار الكتب . ثم تلا الرئيس اقتراحاً وارداً من الاستاذ الاب بطرس البستاني من علماء العربية في لبنان يرمي الى توسيع اعمال المجمع العلمي في البلاد العربية . فاقترح بعضهم ارجاء البحث في هذا الموضوع الى الجلسة القادمة . وتذاكروا في موضوع محاضرة تلت في العربية والفرنسية في الدين الاسلامي من حيث الاجتماع على نزلاء دمشق من الاوربيين فلم يتم في ذلك رأي . ثم تفاوض المجمع في ان يقترح على الحكومة وضع رسم على الداخلين الى دار الآثار على ان يجعل الدخول يوم الجمعة من كل اسبوع مجاناً لمن اراد . وان يكون الرسم طفيفاً باديء بدء لا يتجاوز عشرة قروش سورية

ينفقها المتخف في تنظيم اموره . وبعد ذلك لناقش الاعضاء في عثرات الافلام وانفضت
الجلسة . وكان الرئيس يترجم لسعادة المندوب الممتاز المشار اليه كل دقيق وجليل
يدور في الجلسة فسرّ حضرته مروراً زائداً ، وقال للرئيس عضوا على مجمعكم بالنواجد
وحافظوا عليه بكل ما اديتم من قوة ومتانة وعلم ، فانه عمل نافع جداً للبلاد كما قلت
لكم ولا ازال أقول . ولا عجب فسعادة المندوب من الافراد الذين عرفوا بسعة
فضاهم وله مصنفات عظيمة واعمال اديبة مجيدة واكثرها مطبوع ، ومثله من يقدر
الاعمال العلمية قدرها .

— — — — —

مخطوطات مكتبة جامعة برنستون

جاء من الاستاذ العلامة السيد فيليب حتى احد اساتذة جامعة برنستون كتاب
ختمه بقوله : (هل ذكرت لكم ان في جامعة برنستون الفين وخمسمائة مخطوط عربية
في أعظم مكتبة عربية في العالم الجديد . وسيكون نصيبي في الحياة احياء هذه
المكتبة بالطبع والنشر والترجمة فضلاً عن تدريس الطلبة فلا تحسبوا اننا هنا
فقدنا رغبتنا في الاسلام والعرب والعربية ومتكبيرها) .

فيا الله الاستاذ وسائر اخواننا العرب في العالم الجديد الذين ما زالوا يثبتون
عربيتهم وتعلمهم بوطنهم العربي مع التجرد عن الصبغة الطائفية اثباتاً يشكرون عليه
ويجب ان يحتذى مثالم فيه .



مطبوعات حديثة مفكرات في العهد الحميدي

عها موته الراضون عن عهد عبد الحميد وسكتوا عن نقائصه فان ثفنن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلعا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليستمتع ليل نهار لجواسيه وعيونيه ، ينفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لآت بموارد تغني السلطنة لا محالة واصاب ذلك الملك العظيم من التمزق بادخال اللساتير النيابة الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غلت مراجعها مدة ستة قرون انتهت اياها الاستبدادية بأخري من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ومعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فيفسدها نفساً .

أكتب هذا وأنا أنلوكتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانيه) مطلع على مجرعا و مجرها ، ولعل هذا السفر أصبح مصدر يصح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . وامم المؤلف (لويز رامبر (١) وامم مؤلفه « مفكرات وتأثرات عن تركيا » او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكاتب هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لاتهم بان له ضلعاً معها ويحاول النيل من العثمانيين وناشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتبيها (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعد ان طوسيه ذلك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اعل الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب مثمن ،

(١) هكذا امم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie
L'empire Ottoman sous Abdul - Hamid II 1895 1905

أنشأ في صباح جريدة يومية وناب عن أمته في مجلسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله بد طولى في فتح نفق سان غوتار المشهور بين ايطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من . اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرانسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة العثمانية ، ثم تولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في حياته علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعاناة المسائل الكبرى حتى صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول وهلة وقد استنبطن أسرار السياسة والمالية فكان إدارياً مدققاً كما قال فيه واصفوه .

أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذلك الرجل الذي سقطت على يده وبهده .

ومما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك العثماني وكانت له صداقات مؤكدة مع اكبر وزراء السلطنة وولايتها وعملها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا نقرأ فيه شيئاً من الغرض بل يفتن فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبحقائقها وتدقيقاً قل ان تراه لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى تصح احكامهم وتجدونآ ليهم .

دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي نشبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مفكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة النصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصيل هو سيامي (Opportuniste) اكثر مما هو ديني : والظاهر ان قليلاً من الأدب ان كانت من التسامح على مثال الدين الحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثيرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يمشون مع الانراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

في حكومة السلطنة وإدارتها» الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الأرمنية بيد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا ان يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارضروم .

هذه المفكرات قطعاً تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها ، وولفها باليوم والشهر اللذين كتبت فيها بمباراة عالية لتجلي فيها روح المالى والاداري والفتان والاجتماعي ، بعيدة كل البعد عن البذاء والهراء وفيها احياناً الاحماض اللطيف والتهكم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة . وكثيراً ما دون صاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لها كتفاصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيته وعمله الخاص ومنها تهتم كيف يعيش ارباب الاعمال من الغربين في الشرق .

تكلم في مفكراته (٣٠ تموز ١٨٩٩) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمها بمد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الأموال من الفرنسيين الاشغال الشرقية . فان هذه الاعمال كلها قليلة الربح قليلة النجاح في السنين الاولى . فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانتظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجاح . بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يمينون رأس المال صلفاً على أساس الواردات الموهومة وينقاسمون الارباح المقدرة بصورة زيادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أسرفوا في إنفاق المال على هذه الأعمال في الشام إسرافاً فاضحاً وناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apports) الى الشركات . فرأس المال الذي طلب هو أعظم كثيراً مما يقضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتى زهقت روح الشركة . التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه لن يستفيد احد من هذه العظة » .

وجاء في مفكرته يوم ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزداد في أعمارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من يدافع عنهم ، ويحملون الغلم الذي

يقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاب الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة وسخرة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المعضل وهو خلوة الزرى من سكانها . ويقال على الجملة انه ستزيد الحركة ونفنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منها الضرائب . تصبح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت النصفية ، ولا تزال نذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقد فقدت كريت مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة النصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التخلي عنها بدون حاجة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غير مباشر وذلك بالنضيق على سكان الولاية في معاشهم ويجعل البلاد المنتجة فقراً . فان آسيا الصغرى لنصفى بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا لنقطع إرباً أرباً . أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شيء بالفقار فان مذابح الارمن وهجرتهم الى ولايات الشمال وتخرب الكنائس الحميدية والقبائل الرحالة في الجنوب في وادي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . ندب مدير اعمال ادارتنا (كلب) آخراً للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع مسكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة يونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة إذ ذاك تعد بالمئات تخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن بالامس عاصمة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابدأ على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متمذرة وتزيد رداءة الحال الى ما يدعو الى انقراض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الاقطار الاخرى الى بلاد السلطنة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور النصفية الذي نجنازه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف يصرف السلطان جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض من قلة الثقة بهم لا بالاشطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب وال اسم رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

معروف . ذكر لنا ابنه امس ان اياه أراد ان يزر احدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبرق الى السلطان ان رائفاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه .

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار نفوق الاسلام و يرى المسلمون في حالها دليلاً ظاهراً على نفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهام النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسامح الواسع ، قد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تركوا وشأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية . فان السلطة التي تنفيذ بحق واعتدال وما هناك من انانية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذللاً نأذى به أبصارنا ! وقال في دمشق : لا بأسف الانسان في مكان بقدر ما يعرفه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجميلة من الارض سلمت الى بلادة الادارة العثمانية وطعمها .

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الفرائب ما يرى من السلطة النافذة بالخوف والإرهاب في هذه البلاد النفس . فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله منبعثة من الخوف . وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بها . ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من هم الا ان يدوم لهم سلطان الوهم يدونه ويهيئونه بما عندهم من القوى . وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجباء والقواد يعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال ما يخطر له من نبي من أراد ونكبتة والحكم عليه بالموت او بالحياة . فان دسيسة مدبرة بحق او خيانة في عمل سرى ووشاية جاسوس مقدم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفضع النتائج . وعندئذ فلا تراهم الا مراقبين بعضهم على بعض ويستقرون أخبار الجار لانهم يحاذرونه ويمدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، ويحاذرون ان يتعرفوا ما تدور عليه أعماله وأمراره الخاصة . وما من عمل سافل ولا من خيانة يتردد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته .

وكل هذا أحدث تبللاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتصادم وتعارض وتناقض وكان منها الصالح لكاذب والمدوات والدسائس والدنئات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ .

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هذه المملكة غريب جداً فان فكر الانتفاض والمصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس مما تولد منه فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعمدية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحنون رؤوسهم والملوك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلمهم أو الهلهم ويحيط به خدامه ويسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دماءها . واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة في وزارته يكون عرضة لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً او سجيناً او منفياً او يصيبه غير ذلك . فالفوضى في كل مكان والأشرار يعيشون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون بؤذين أنواع الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الاكبر للسلطات الذي يدير هذه العمدية وينفذها . والوظائف في الولايات لا تعطى بحسب الاستماتة وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستماتة ولذلك تجدد في الولايات مثل دمشق وطر بزون وتسطموني رجالاً عظاماً

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية وتفسخها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعتهم الى الاستماتة وتغير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرة بتقله هذا بين الاستماتة واوربا لا يتنقل فقط في المسافات بل يتنقل في الاوقات والادوار . فان ثلاثة قرون تفصل بين أترك اليوم وطر بقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتقاء اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين المحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة وتنتفع بالاختراعات الحديثة وتعني أدبياً ومادياً . وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة ان تبتاع سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقا ان هؤلاء القوم عجائب بسن اجتماعهم فانهم كتبوا في تقض البنيان الموجود والفناء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لا يوازيه الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم .هما كان نوعه .

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الامتانة الى جنب الأروام كثيراً وهم
ثرتارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم يتكلمون باصوات عالية و باشارات
عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور تافهة او لا أصل لها . فهم مهذارون الى التي ليس
بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأ كاذب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد .
لا جرم انهم أناس عاديون غير متمسكين ، رأبنا فيهم ما عرفناه عن الروم القدماء ،
و كنا نذهب الى ان ما أثر عن قدماء يونان من الاعمال والانتصارات والمجد هو من
صلتهم و صلف الجنوب و بالغاتهم و بالغات مؤرخيهم وشعرائهم قياساً مع أروام اليوم ،
لولا ان في زيارة المصانع القديمة في يونان و ذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل
هذا الظن ، فان البراهين على الثقافة العالية والاقتدار والإلهام العالي محسوس
لا نزاع فيه .

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عظماء القصر فتعيت اليه قدري
بك (والي طربزون وكان إدارياً حكيماً) فضرب بيديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ،
واذ قد رأي صامتاً دهشاً قال لي : وهذا وال سينصب له خلف ، والفم لنا في ذلك
لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا
المشترك . ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكتفيت بان قلت له
بلهجة استغريها : ان الفضل يرجع الى قدري بك بحماية بلاده من ان تكون طربزون
مكدونية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكير في إتمام السياسة التي سار عليها قدري
بك أهم من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم .

وذكر بداعي وصف احدي الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة
ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب
بعيدة صعبة اكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب . فان
هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من أسباب أخرى هي قائمة بانتشار
التربية العقلية التي تخلق وتموت في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل
ظهور رجل عظيم ادني كريم . ومن الأمة المنورة بنشأ الذكاء في طبقات الخاصة
الذين يوجدون العلم و بكشفون عن مجيها امور نجهلها او يوحون اليها بشرائع ادبية خصبة

بنائها ٠٠٠ والفلاح هنا يعيش تمسًا في كوخه جاهلاً ما يجري على ميل من مقره لا يملك تقدماً ويحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا أيضاً لاشأن للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى التنقل الا بخفارة . وهنا ايضاً احفظ القوم باساليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلوكاف

وكتب (ص ٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو أمّا في ضرره نقصاً عليّ الدسائس التي تحيط به وما يتهمه به النيامون قال : ان في الولايات ولاة لا شأن لهم الا ان يتهبوا الدولة ويسلبوا الامة اقترحتم نجاتهم او قتلهم وعبثاً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدي نساء الحرم تحمي الوالي ، فيؤهمون السلطان اني أعمل بموالم جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد باقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن مفكراته (ص ٢٤٢) : ان الألمان منافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفارتهم وبوتهم المالية الكبرى لضغط بكل ثقلها على مفاوضات الحكومة العثمانية ومفاوضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد منقهرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأمناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعناقهم ممتدة ، وافقين بالمرصاد للفتائم منظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظافر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « البخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذاك اليوم . منظر جدير بمثل هذه المملكة مملكة عبد الحميد . . . في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٢٤ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلساً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات جمّة وقضى مجلس النظار بان يؤدي اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة ستطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عبثاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

وهو منذ أشهر يأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد أتى أمس الى إدارة حصر الدخان متهملاً كأنه عاد فتياً عشرين الى الوراك ينغني باماديح السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك يا حاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجري يا ذا السعادة ان اخي فكر فكراً حسناً فأرسل الي من اليمن اربع بقرات غريبة لكل منها سنم في ظهرها فقدمتها هدية الى السلطان . فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاهنا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة . وقد أتقت مما كان يتهديني . اما نحن فاننا نقامي منذ سنين الامني من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودة الظهر فالواجب ان نفكر في طريقة أخرى .

ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : نتابع الفضاخ الداخلية في القصر السلطاني ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والهجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انتقضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شرقي جدة ، وشاع في الأيام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومهما يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وتقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما يسأل صقلوك بتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتنادل كرسياً بيده وكسره على رأس ذلك السوري الصغير فوق اضطراب واحتدعي الطبيب زامبا كواشاً وقد أخرج الصدر الاعظم مندبيله ليقطع به الدم المهرق . جميع اهل المندى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثار القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدي لبلاده اوسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافرعان المضر . وليت شعري ما كانت أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويصري في العهد الحميدي البائد وانما المراد حديث

بعده . وأظن ان هذه الوقائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومادح ذلك
الدور في الحقيقة الا الذين حللوا العنزة المسكينة واكلوا درها ثم تنفوا صوفها
وعرّفوا عظمها .

محمد كرد علي

—><—

تاريخ الادب العربي

تأليف السيد احمد حسن الزيات طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . الطبعة الثانية

(ص ٣١٣) طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر المؤسسة سنة ١٩١٤

مؤلف هذا الكتاب من نوابغ الادباء الذي أحكوا القديم من أدوات الكتابة ،
وضموا اليها ما ينفعها من الحديث . وقد علمنا من حياته انه بعد ان حفظ في الأزهر
القرآن ودرس التجويد والقراءات وعلوم الشريعة واللسان وقرأ أمهات كتب الأدب
على العلامة سيد بن علي الرصني حذق اللغة الفرنسية ودرس الحقوق بها ، وأحرز
شهادة العالمية من جامعة باريز ، وغذى عقله بجزيرة البحث ومحبة النقد ، ثم انصرف الى
تدريس آداب العرب وعني بالتأليف والترجمة . وكتابه هذا من خير ما أخرج للناس
من الأسماء ألفه بحسب برنامج معارف مصر للمدارس الثانوية فجاء مما يستفيد منه كل من
تطعم نفسه الى الإلمام بهذا الفن الواسع الاطراف ، المتشعب المناحي . بدأه بالكلام
على أدب اللغة ومنزلة الأدب العربي وتاريخه وفائدته ونقاسمه وعلوم العرب واللغة
ولهجاتها وأطوارها وخصائصها والنثر والحكم والخطب والشعر وأوليته ونقاسمه عند
الفرنج وأبان السبب في خلوة الشعر العربي من القصص وميزات الشعر الجاهلي والرواية
والمعلقات والحجاسة والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوصف والنسب وأورد تراجم
جميلة مع الايجاز لشعراء الجاهلية والاسلام والخطباء والكتاب ، وأمّ بتدرج اللغة
وما أثره الاسلام فيها وتأثيرات القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه وتأثيره وجمعه وتدوينه .
وعرض لعبد الحميد الكاتب واثره في الكتابة والموازنة بين الكتابة في عهده
وبينها في الجاهلية واثر الخطابة في الاسلام وأورد تراجم علي بن ابي طالب وسحبان
وز ياد والحجاج بن يوسف ومثالات من خطبهم ومن النثر في عهدهم وذكر الشعر في

العصر الأموي وسيرة طائفة من النابهين من شعرائه ونماذج من أقوالهم . وانقلاب بعد ذلك الى العصر العباسي وما آل اليه الأدب بتأثير الحضارة الفارسية فيه وترجم لأعيان الكتاب والشعراء والادباء والنحو بين واللغو بين والفلاسفة والمحدثين وألم بها صارت اليه كتابة التاريخ وتاريخه وعلوم الحديث والفقه والفلسفة وما صارت اليه اللغة في العصر التركي وذكر بعض أعلام الأدب ووصف ضعف ملكة البيان حتى كان الاحتلال الفرنسي في مصر وما تبع ذلك من عمل محمد علي الكبير فأضت اللغة الى بعض رونقها وترجم من المعاصرين في الأدب اربعة رجال وامرأة من المصر بين وذلك بحسب الخطة التي رسمت للكتاب وهم المرحومون محمود سامي البارودي ومحمد عبده وحفي ناصيف والشيخ حمزة فتح الله وملك ناصف ابنة حفي ناصف المعروفة بباحثة البادية . وذيل الكتاب بمجم صغير للتفسير ماورد في الكتاب من الألفاظ الغريبة والتراكيب الغامضة . هذه رؤوس المسائل في هذا الكتاب الذي جود مؤلفه تصنيفه وجمع الى الجزالة الرشافة فأتى بمجموعه مثال الكلم الطيب والقول البليغ والتجري سيف البحث والخصاف زهرات أئمة الأدب وإدماجها في أسلوب يجب تلاوته ومراجعته ، ولقد يكتفي طالب هذا الفن بهذا المثال الجيد من أدب العرب ، ويتبلغ بهذه الزبدة الطيبة تملأ وطابه وتقنيه في سن الدراسة عن الرجوع الى المطولات . وعسى ان تصح عزيزة المؤلف النابغة على وضع كتاب مطول في هذا الفن الذي قال فيه انه علم حديث النشأة ابتدعه الاباطليون في القرن الثامن عشر وظل مجهولاً في الشرق حتى اشتد خلطه بالغرب فكان اول ما نقله الاستاذ المغفور له حسن توفيق العدل اقتبسه من المانيا ودرسه في دار العلوم^(١) بمصر .

(١) ألف صدقي الملامة المرحوم حسن توفيق العدل كتاباً في آداب اللغة العربية ونفضل ودفع الي في سنة ١٩٠١ بمصر مسودات الجزء الاول فقرأته واعدته اليه ولا أعلم اذا كان مثلي بالطبع ، ومما قرأته من الفوائد فيه ان اوزان الانار يض من مختبرات العرب الصرفة وانهم لم يأخذوا وزناً من غيرهم بل اخذ عنهم كثير من أم اوربا انواعاً من القافية .

ومما قاله في الرواية والمعلقات (ص ٢١) «قال ابو عمرو بن العلاء: (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشمر كثير) ولكن هذه الكثرة متهمة وروايتها مرعبة ، فان الشعر لم يدون الا في منتصف القرن الثاني للهجرة ، وان في نقله على الألسنة طول هذه الأزمنة مظنة للتبديل والاختلاق والتزويد » اه . وقد ثبت ان التدوين سبق هذا العهد فان زيد بن ثابت الف كتاباً في علم الفرائض وكان عبد الله بن عمر يكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه كتاباً ألف في عهد ابن عباس في قضاء علي . فليس من المعقول ان يتأخر العرب في تدوين شعرهم وهو ديوان معاخرهم وصحيفة ادبهم وتاريخهم الى منتصف القرن الثاني .

وقال (٨٢): وقامت خلافة الأمويين على غير عمدة من الحق فساسوا الناس بالفرق وإحياء العصبية ووقدوا نار التنافس بين الشعراء . . . ولما الناس عن الخسومة في خلافتهم بالخصومة في امر جرير والفرزدق والأخطل ، وحل المربد في الاسلام محل عكاظ في الجاهلية ، فعلوا ذلك بالشام والعراق فظهر العجاء السيامي وهو فن من الشعر جديد واعنقوا شباب الهاشميين وسراهم في مدن الحجاز ، وسلطوا عليهم الترف ، وشغلهم بالمال ، وخطوا بينهم وبين الفراغ ، فتدفعوا في اللهو ، وعكفوا على الفناء . . . اه . وليس هذا الكلام صحيحاً على إطلاقه لان الأمويين كصومهم طلبوا دولة بلفورها بمضائهم وعصبيتهم وحن سياستهم ، واذا كان الهاشميون من طينة غير طينة العرب او البشر في الفضل والنتي فلماذا مالوا كل الميل الى ما حمله الامويون اليهم من اسباب الترف والسرف . ولو وقف الامر عند الحد الذي أراده الحجازيون والعراقيون اذ ذلك لما انتشر الاسلام هذا الانتشار المدهش ولا بلغت فتوحاته المغربين والمشرقين .

وقسم المؤلف العصر العباسي الى اربعة اعصر تبعاً لاحواله السياسية والاجتماعية ، فالعصر الاول من ابتدائه الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ، والثاني من خلافة المتوكل الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ، والثالث من تغلب البويهيين الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، والرابع من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها

سفي ابدى الثر سنة ٦٥٦ وهذا التقسيم سار عليه ايضاً بعض المؤلفين المحدثين الذين
دوتوا شيئاً في تاريخ الادب عند العرب .

واعتذر الاستاذ عن اغفال ذكر الشاميين وأثرهم في النهضة العربية بقوله : وما كان
أروح للنفس لو اتسع صدر هذا الكتاب لتراجم مواطني وجيرتي ولكن البحث محدود
والقلم موجز . ومهما يكن من شيء فلن يفوتنا ذكر اسمائهم مئة مئة باسماء معاصريهم
في العراق والمغرب ، اعترافاً لهذه النفوس الكبيرة المظلمة بالاحسان والفضل » .

وقد وقعت بعض هنات قليلة جداً للمؤلف اكثرها من غلط الطبع مثل « اعتدق
الاسلام » وهذا من التعابير الافرنجية والأولى ان تثل او دانت او غير ذلك . ومنها
(ص ٢٣٤) ان الاستاذ جويدي الايطالي وضع فهرساً ابجدياً مطولاً للاغاني وطبعه
بمصر سنة ١٣٢٤ والصحيح ان الاستاذ الايطالي وضع جداول الاغاني بمؤازرة ثمانية
من علماء المشرقيات وطبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ وما طبع سفي في مصر من تثل من الطبعة
الفرنسية ومنقول عنها . وروى (ص ٢٤٥) ان كتاب البدء والتاريخ هو لابي زبدا البلخي
ولكن تبين آخر أنه للطهر بن طاهر المقدمي ، وان ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات
الادباء والصحيح ان صاحب هذه الطبقات ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان وكتاب
ابن ابي أصيبعة اسمه عيون الأنبياء في طبقات الاطباء . وقال ان ابا الفداء وصل في
كتابه المختصر في اخبار البشر الى سنة ٩٢٩ ورواه ٧٢٩ واهوال الفداء مات سنة ٧٣٢
كما جاء في الكتاب نفسه . وجميع صفحات الكتاب درر وعرر . محمد كرو على

==*==

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف «جوت» الالماني نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات

الطبعة الثالثة طبعت بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر في مطبعة

الاعتماد سنة ١٣٤٢ - ١٩٢٤ ص ٢٠٨

اشتهرت هذه القصة في الأدب الغربي وبالغ الغربيون في الإعجاب بها ، وقد نقلها
نابغة الأدب الاستاذ الزيات ايضاً بما رزق من القوة على تذليل صعاب اللغتين وبرشاقة

وذلافة دل بها على علو كعبه في ممارسة القلم العربي الذي يتوفر على إرجاعه في أسلوبه الى عهد ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هرون . خاصة امتاز بها بعض من درسوا الأدب العربي حق دراسته ، وتشبعت نفوسهم بالأدب الفرنجي أمثال شكيب وطه والعتاد والمازني وغيرهم من أعيان البيان في هذا الزمان . وقد برز في هذه الطريقة خصوصاً نوابغ الازهر بين الذين عالجوا الادب وقوماته ، ونوابغ دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكم فيهم من لم يشتهر اليوم بكتب من السهل الممتنع الذي لم ينهض بمثله كتاب القرن الخامس والسادس . وقد قدم لهذا الكتاب صديق المؤلف وتربه وقسيمه الدكتور طه حسين مقدمة قال فيها ان «جوت» وصف في هذا الكتاب الحياة النفسية لكل شاب وشابة على اختلاف الأزمنة والامكنة وعلى تباين الحالات ، وانه من الكتب التي أنشئت لتبقي ابد الدهر ، تخلد لانها لا تصف الأشخاص التي نفى وتزول وانما تصف النوع الذي يبقى ويدوم ، وخصلة أخرى قضت لهذا الكتاب بالبقاء والخلود هي انه لم يقف عند حد تمثيل الحياة النفسية للشباب في طور من أطوارها وانما وضع للانسانية مثلاً من الفضيلة تحس كل نفس الميل اليها وترد لو بلغت او دنت منه . . . ان آلام فرتر ليست قصة مثخلة او بناء متكلفاً استعيرت اجزائه المتكلفة من الخارج ، انما هي قصة ما اصاب «جوت» نفسه او بان شبابه . ومن هنا بريء الكتاب عما يشوه غيره من آفة الكذب والاختراع .

وقد وضع المترجم بعض الألفاظ للدلالة على بعض الكلمات الفرنسية مثل بيان (Piano) او المضرب . عصير (Gouter) الوجبة الخفيفة التي تؤكل وقت العصر لكلمة عَدَفَ ونَدَفَ ، كَمَجَّ وتَلَمَجَّ ، تَلَقَّ عند العصر وجمع اسمها على عصور . قديح (Gratin) الأشنان (Mousse) وربما كان الأولى يطلق عليها اسم طُحلب ولعلها الأثنية (شبية او كشة العجوز) . وفَنزَجَ (bal) اي المرقص . واستعمل كلمة «ظروف» بدل الاحوال و«قتل الوقت» بدل صرفه وقطعه والقتل هنا اعجمي . وجمع الوادي على وديان والمعروف الاودية والوادية . وقال (اشجار الدوح) . والدوح الشجر العظيم فلا حاصل لمعنى (اشجار الاشجار) . ومن الفصح والتراكيب الجميلة التي يزيد احياها هـ: 'متعم الحياة . متوع النهار . تتحدى الناظر وتعاجز المراقب .

نزية (حدة) من الشوق • يزوجون بنبيهم من بناتهم بدالا • يوم قانظ لثوقدهواجره •
وتحرق مماثمه • السكيات المنديية — الخجلة • خشاة ان — خشية ان • رجاة ان —
رجاء • رَجِيَّة وامل — رجاء • الصاعر المشدوه • اصحر القلب (اصحر بما في قلبه
اظهره) وضاح الجبين • تركته يعب عبايه • ثقل خلاطهم (مخالطتهم) على طبعه •
تعلم منذ بعيد • اجزت الفناء — جزته • عدواء الدار — بعدها • امرأة نصفانفترق
الابصار ملاحه • عقرت — فجأني الروح فلم اقدر ان انقدم او اناخر • مبيشة ضنك
ومسترد حرج • العيش الرفيع — لعله الرفيع بالعين المعجمة من رفع العيش اتسع •
مخشوشب الجسم • يخذونهم على مثالم • عصاه المقداء • رثدا — قربنها في السن •
ينجلون المرعى يحشونها • الود المصطفى • مؤانستها والنظر اليها • أبقى على نفسي
واهاونها • ربكها حمله • ارفه على نفسي • لهات الموت شدته وكرهه • نعم ونعام
عين • لا يقع الا ندورا • زهاه النصر ولج به الفخر • كان مُحَمَّماً مأفوناً • رجل
مأفون مماحك • راقصة مرجعية • التي الخبر على رؤس يلاته — من دون تثبت • نفع
هذه السكيات وجدأوها • الداء الثبات المعجز عن الحركة • عرفت لهذا الخطب صبرت
وتجلدت • ارى له صورة التي اي ميلا بالود • صب جلده وارتهكت مفاصله •
استنشيت ذكرى ما نعمت به • كظمني الحزن ولاع قلبي المم • اعمد في جوف غاية
واخبط في الادغال الشواجن • لن تراني عووض • كظمت على جري • ادهام المشى
بالخضرة النضرة • زهفت الى الموت • المندام المشياً — الختلف القبيح • يستمون عنه
اي يذيمون منه عيباً وفضيحة • يمرجون السنهم في عراضه — يطلقونها في الدم
والاغتياي • اُفد الوقت (دنا) • يفري القرهي يأتي بالعجاب في عمله • امرأة عجفاء
معروفة العظم مسقامة • ثنناتان الحديث • استمر الكأس واجتواها اي وجدها مرة
وعافها وكرها • افعى عن الطعام كرهه • خب المرأة على زوجها — حملها الى النفور
منه • نرذها على سوقها وثبتها بنصها • شقق الماء الارض غمرها • اقرنت السماء
بالمطر — دامت ولم تقلع • اضب له على حقد اضمره ونواه • يوزعها الصبر ويشب
قلبيها بالسلوة • الى عشرات غيرها من الفصيح في التركيب الحري بالاقباس والاحتذاء •

م • ك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال (لامرنيين) نقله عن الفرنسية السيد احمد حسن الزيات
الطبعة الاولى بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع بمطبعة الاعتماد
بمصر (ص ٢٦٢)

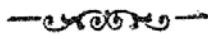
وهذا ايضاً من نقل الاستاذ الزيات وآخر ماخطته يده الصّناع ، وذوقه المهجّب ،
وأدبه المتمع ، قدم له الاستاذ الدكتور منصور فهمي من حكاه مصر في هذا العصر
مقدمة شائقة قال فيها : « فكأن الاستاذ الزيات باختياره ترجمة هذه القصة التي
استمدها كاتبها من جمال الطبيعة ، وجلال الايمان ، وشرف العاطفة ، قد حرص على
ان يقرئنا صحيفتين فيهما دقائق الكونين من عالم الغيب والشهادة ، او من عالم المعنى
وعالم الحس ، وبهذا الحرص قد خدم اللغة العربية . أجل خدمة . واي خدمة أعظم من ان
يعين الانسان لفته على بلوغ دقة الوصف ورشاقته وتحليل الشعور ودقته . » فاذا
نقل الينا الناقلون كتاباً حديثاً يتضمن أوصافاً لارض غير التي ذكرها العرب ، ويحتوي
مشاعر غير التي أحسها العرب ، فانهم بمعلمهم هذا يمدون في لغتنا سبباً ويضيفون الى
رهبانها زهوراً ، والى نغماتها ألحاناً ، والى حياتها حياة . » وخير برهان على ذلك
ان قصة رفائيل التي نحن بصددنا بقرؤها الانسان عربة صحيحة على أسلوب العرب ،
وبيان العرب ، وفيها رخامة ألحانهم ، ورنات أوتارهم ، وهي تحمل الينا كل ما قاله
وصوره كاتب من اكبر كتاب الفرنجة بلغة الفرنجة وأسلوبهم ولحنهم . أو يقول
المتطرفون بعد ذلك ان اللغة جامدة ! او يقول الجامدون بعد ذلك ان نفوسنا لا تتأثر
بما ننقله الينا اللغة من مشاعر الغير وأساليبه في تصور الوجود ؟ . ثم قال ان للترجمة
كما قال الصفدي طريقتين ترجمة حرف بحرف وهي ترجمة رديئة وترجمة المعنى وهو ان
يأتي بالجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها ،
سواء صارت الألفاظ ام خالفتها . قال الدكتور فهمي ان مترجمنا هذا جمع في منهاجه
في الترجمة فضائل الأساليب جميعاً فلم يفرط في نظام الكلمات اذا سلم المعنى ولم يفرط
في معنى اذا لزم الامر لتربط في مبنى قال : « وبين تزويجه للطريقتين قد افاده تمكنه

من اللغتين المنقول اليها والمنقول عنها ، فتخير الألفاظ وصقل الأسلوب ، وادى الامانة بما تقتضيه الدقة والايجاز . والخلاصة ان الاستاذ الزيات كان فناناً في نقله ، أميناً في فنه ، موفقاً في عمله .

وهذا الكتاب كصنوه « آلام فرتر » ينطوي على أجمل التراكيب وأفصح الألفاظ أحياء بها كثيراً منها حري بالكتاب ان يتماوروا استعمالها كما أحيوا مئات من مثلها . وقد وقعت للمترجم ألفاظ من الفاظ الصوفية جاء بها للتعبير عن المعاني الروحية التي أرادها المؤلف الأصلي وهذا من جميل العناية البالغة في اجادة التصوير . وقد وقعت له بعض الفاظ لم تؤثر لاحد من البلغاء منها . يتراوح بين فرسخ وثلاثة والاولى يختلف لان التراوح ان يفعل هذا مرة وهذا أخرى . بلغ اربعة وعشرين ربيعاً اي سنة ولم يعهد استعمال الربيع بمعنى السنة وهو استعمال افرنجي . والتخوير بدل التبديل والتغيير والتخوير التبييض . في حجر يوم وليلة . والاولى في صحابة يوم . سمع البندول (الرقاص) يدق الثواني . الكنية لذلك الكرسي المستطيل . البرنز — الشبه اولى منها . تضي بنفسها في مهبيل . يرضخا (يعطيا قليلا) الي شيناً من مالها والجريري يقول بدرهيات رضح بها له . يقتلوا ساعات من الزواغ فقتلوا غير عامدين ساعات من الهناء ومثلها اقل الوقت .

وان في اقبال القراء على ما تجود به فريحة الاستاذ الزيات في هذه الترجمات البارة لبرهان قاطع على ان في جمهور المتعلمين من تروقيهم روعة هذا اللون من الانشاء الرصين ، ولا يرتضون بعد الآن غيره من النمط النازل عن درجات الفصحاء والبلغاء .

م . ك



هدية

اهدى الى المجمع العلمي الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا صاحب المنار بعض مطبوعات مكتبته وهي : (١) أسرار البلاغة و (٢) دلائل الإعجاز والجزء الثامن من تفسير القرآن الذي ينشره في مجلته ورسالة التوحيد للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فالجمع بشكر له هديته .

كتب ورسائل مختلفة

- (١) صور المفاوضات الخطية المتبادلة بين وفد خدام الحرمين الشريفين الهندية وبين عظمة سلطان نجد في غضون يناير - فبراير سنة ١٩٢٦ .
- (٢) المنهاج في المراج للشيخ عبد المجيد المغربي من علماء طرابلس طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٤٤ ص ٤٠ .
- (٣) النظم المفيد الاحمد في مفردات الامام احمد نظم قاضي القضاة محمد بن علي العمري المقدسي الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٠ عنت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها في القاهرة سنة ١٣٤٤ ص ٨٠ .

——————

استدراك

ذكرتُ في تعليقي على رحلة ناصر خمرو القبادباني عند ذكر قرية حاضرة انها ربما تكون محرقة عن كفرمندة وقد تراءى لي أخيراً انها محرقة عن حطين او خيارة اللتين ذكرهما باقوت في معجم البلدان في مادة حطين اذ قال: ^(١) حطين موضع بين طبرية وعكا بينه وبين طبرية نحو فرسخين بالقرب منه قرية يقال لها خيارة بها قبر شميم عليه السلام ونقل عن الحفاظين ابي القاسم الدمشقي وابي سعيد المروزي ان حطين قرية وهو الصواب لان هذه القرية لا تزال آهلة بالسكان وعدد من اليوم ٨٨٩ نسمة .

اما اربيل او اربد التي ذكرها فيجب ان تكون محرقة عن (بيت اربيل) العبرية ومعناها دار الله او مكن الله وهي اليوم خربة على نحو ثلاثة أميال شمالي طبرية وجنوبي قلعة ابن معن تسمى اربد وقد ذكرها باقوت ايضاً بهذا الاسم ^(٢) .

عبد الله مخلص

(١) معجم البلدان طبع لينيك ج ٢ ص ٢٩١ .

(٢) ج ١ ص ١٨٤ .